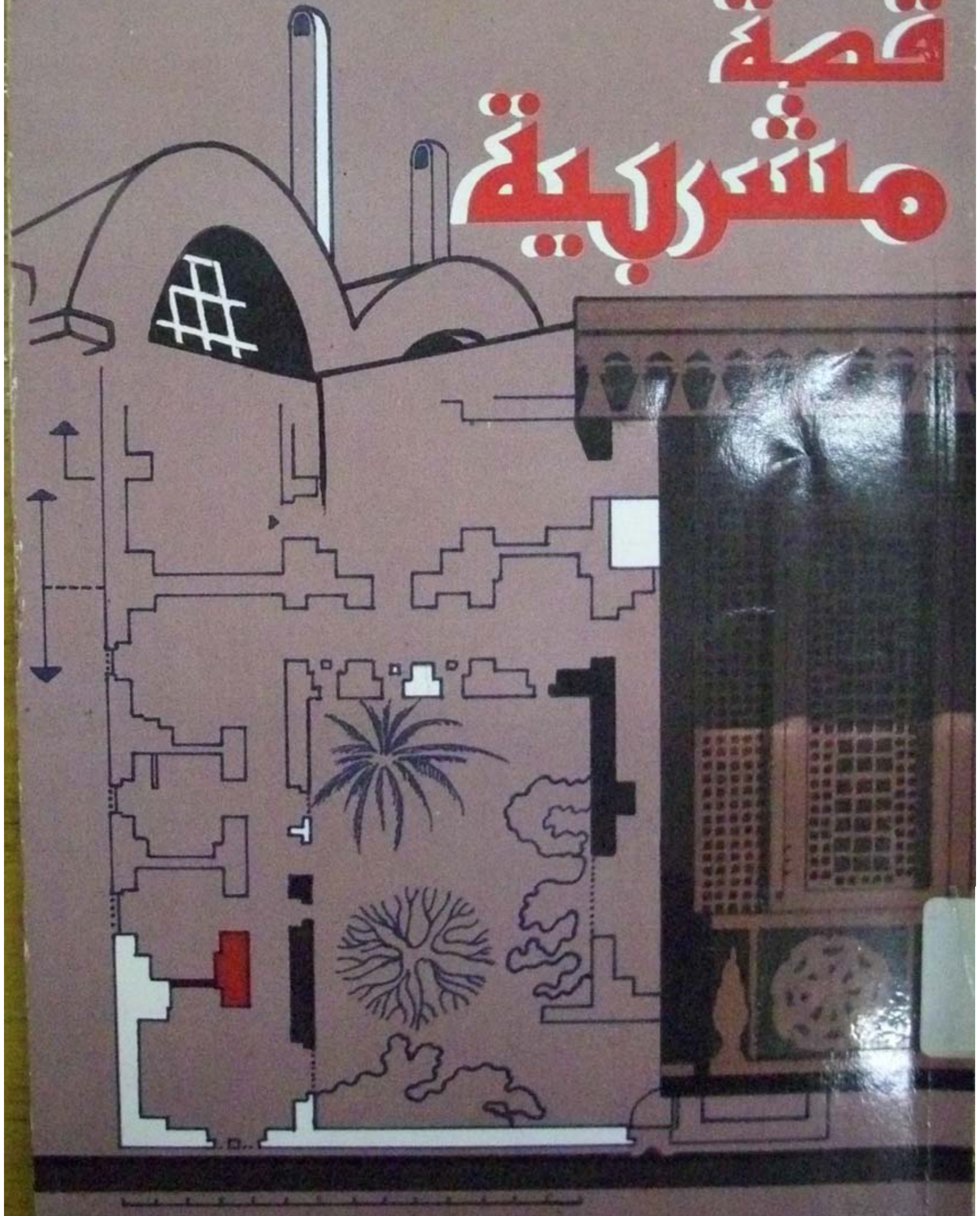
حسن فتحي

قصة مشربية

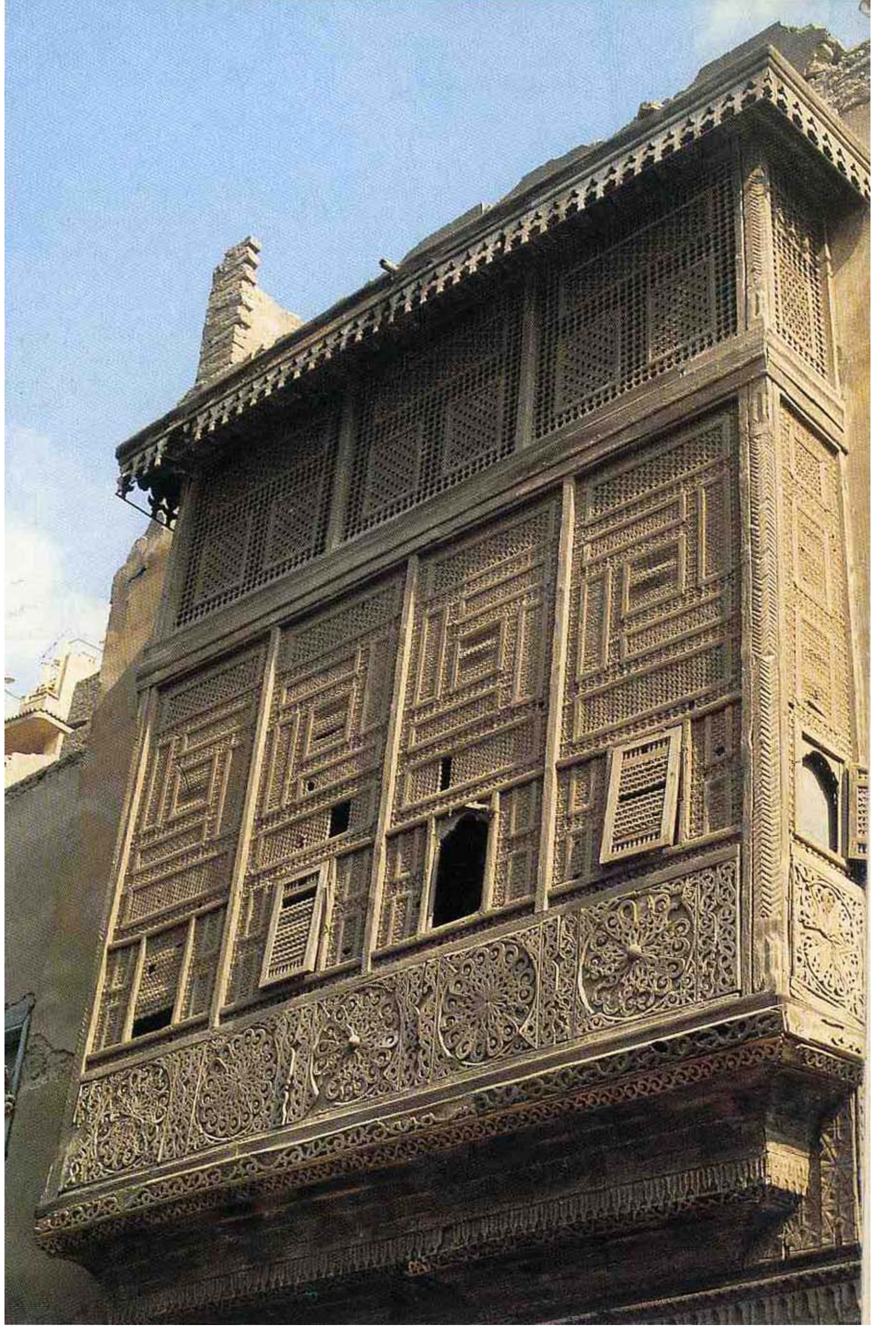


هذا الكتاب

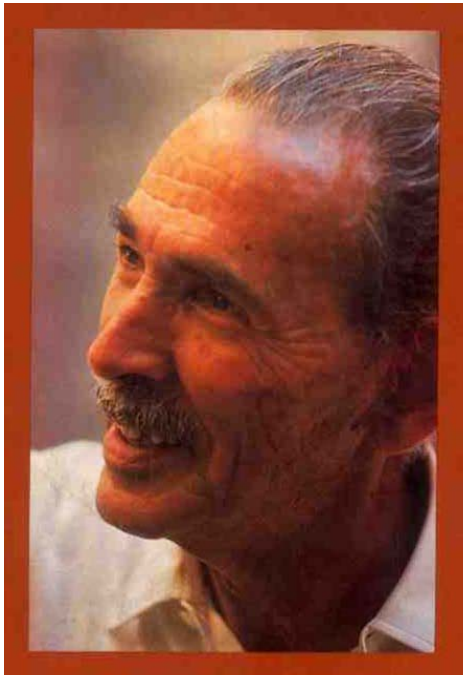
المهندس المصري حسن فتحي الذي عمّت شهرته العالم أجمع، وكتب عنه المختصون العالميون في مجال الهندسة كتباً ومقالات قيّمة في جميع لغات العالم الحيّة، لم يعرفه القارىء العربي سوى مهندساً فذاً يكتب باللغة الانكليزية عن فن العمارة المريح للحواس الخمس.

لكن حسن فتحي المسكون بهاجس العمارة والهندسة، كتب أيضاً هذه المسرحيّة باللغة العربية. مسرحية تجعل منه كاتباً قصصياً كبيراً، يشدّ القارىء إليه. وهو يتتبع معه «قصة مشربية» منذ كانت مرمية في إحدى زوايا محل لبيع الأثاث العتيق، إلى أن تبوأت مكاناً لها في إحدى المنازل المبنية على الطراز المريح. وهو في تتبعه لهذه «القصة» يحاول أن يفصح عن هاجسه الدائم حول الحداثة والتراث في فن العمارة.

الناشر



قصة «مشربية»



موقع حسن فتحى
www.geocities.com/arc.hassanfathy

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر
بيروت ـ لبنان
ص.ب ـ ٨٣٧٥
هاتف: ٨٦٢٤٣١ ـ ٨٦٥٤٠٧
تلكس ـ ٢٢٦٦١
فاكس ـ ٠٠٣٥٧٩٥٢٢١٠٧
بناية الوهاد ـ شارع جان دارك ـ بيروت

الطبعة الأولى

١٩٩١م ـ ١٤١١هـ

قصة «مشربية»

مسرحية ذات أربعة فصول

كتبها في القاهرة عام ١٩٤٢

أعيد تنقيحها وكتابتها عام ١٩٨٤ القاهرة

تأليف

حسن فتحي

العناصر والشخصيات

دار فيش.
رسم وتصميم الغلاف : بلال أبو شعر

مكان الرواية: القاهرة حي القلعة وحي النحاسين

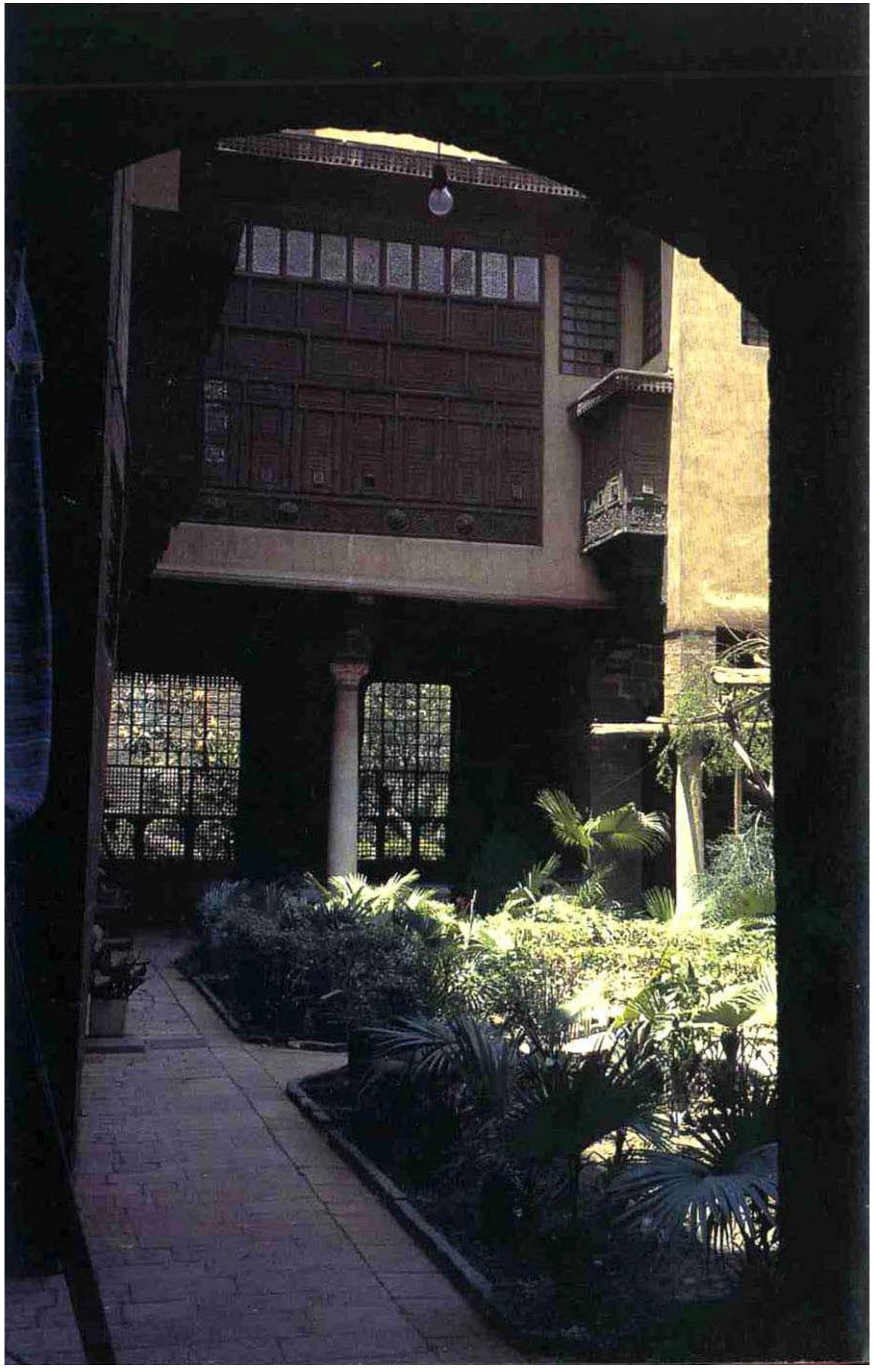
زمن الرواية : العصر الحاضر (القرن العشرين) والقرن الرابع عشر

اشخاص الرواية: في القرن الحالي

١ ـ **خالد:** شاب في سن الخامسة والثلاثين جمع بين الثقافة الشرقية والغربية، فحافظ على قوميته من خلال العمل على استمرار عناصر ومقومات الحياة الشرقية التي لا تتنافى مع الحياة الحديثة، وتحمل معاني الخلود في الحياة، ولم يكن راضياً عن حركة الاغتراب التي شاعت في البلاد وشملت كافة مقومات الثقافة وخاصة في العمارة. لم يتأهل رغم بلوغه هذا السن إذ لم يجد البيت الذي يرضى أن تولد فيه أطفاله وتكبر وتترعرع وقد «تفرنجت» القصور والبيوت والعمائر من غير وجاهة. إلى أن وجد ما يبحث عنه في وكالة الحاج ابراهيم تاجر العاديات المعمارية الاسلامية والذي يتعامل في مخلفات هدم القصور والمنازل الاسلامية.

٢ ـ **رفيعة:** خطيبة خالد، في الرابعة والعشرين. فتاة مصرية معاصرة من عائلة عريقة ولكنها ربيت على نهج اوروبي وثقافتها غربية. وقد سارت في تيارها هذا إلى حد بعيد ولكنها في قرارة نفسها تحن إلى ثقافة أهلها الأصلية فهي حائرة لم تتكون شخصيتها بعد.

٣ ـ **هيلين:** سيدة غربية ذات ثقافة عالية، أكسبتها الإقامة في



مصر فهماً لحياة الشرق وثقافته الأصيلة حتى علقت بقلبها . من خلال صلاتها بالمجتمع المحيط بخالد وبمشكلاته وتأملاته العميقة فيما يقلق باله وميلها نحوه، وقد رضيت منه حرصه على طابعه فكانت تود أن تكون موضع راحته النفسية.

٤ـ رمزي: شاب معاصر (من أب مصري وأم انجليزية) أخذ بقسط من الثقافة الغربية ليس له رأي مستقر ويهوى متع الغربيين وطراز حياتهم، ويشبع رغباته بأي وسيلة. يميل إلى بريق الحياة الخلابة، متنكراً لشرقيته في سبيل أن يضفي على نفسه روح التمدن والظرف والمعاصرة.

٥ ـ الحاج ابراهيم: تاجر عاديات من مخلفات القصور والمنازل الاسلامية الأثرية في الخامسة والستين، يعرض مبيعاته في وكالة مهدمة تقع قريباً من جامع ابن طولون. يحب القديم ويقدر قيمة ما لديه من الأثريات ولكن فقره يعرضه لجشع الوسطاء من تجار الآثار الأجانب. يكون موضع اهتمام خالد وعطفه وينشأ بينهما تبادل التقدير والميل.

٦ ـ المعلم اسماعيل: صانع من أهل الحرف التقليدية يصنع شبابيك الجص والزجاج الملون من الحرف التي أخذت في الاندثار والاختفاء من الحياة الحاضرة.

٧ ـ حنفي: خادم الحاج ابراهيم شاب من أهل الأحياء الوطنية.

٨ ـ تاجر أجنبي: من التجار الجشعين الذين يجمعون العاديات من صغار التجار ويبيعونها بأغلى الأثمان للسائحين وغيرهم من

ساكني الأحياء الافرنجية.

٩ـ زوجة التاجر الأجنبي: سيدة ثرثارة.

١٠ـ زميل التاجر: شخص متزلف وضيع.

١١ـ معمـار بك: مهندس معماري من المتخصصين في العمارة الإسلامية قام بتصميم منزل خالد.

ضيوف خالد:

١٢ ـ طيبة هانم: سيدة متوسطة العمر توافق الجميع على ما يذهبون إليه في المسائل الثقافية.

١٣ ـ محفلطة هانم: سيدة ذات ثقافة غربية تتكلم خليطاً من اللغتين العربية والفرنسية.

١٤ـ فلاح بـك: رجـل في الخمسينات مـن أهل الريف الذين استوطنوا الحضر.

١٥ ـ دهب: خادم نوبي

١٦ ـ عبدون: خادم نوبي

١٧ ـ موسيقيون: (تخت شرقي).

أشخاص الرواية في القرن الرابع عشر

١٨ ـ الأمير مشتاق: هو نفس خالد في القرن الرابع عشر. كان

يشعر بنفس القلق والبحث عن النفس.

١٩ ـ محبوبة: أميرة هي نفس رفيعة في القرن الرابع عشر كانت تمثل ما يبحث عنه مشتاق.

٢٠ ـ نديم: صديق الأمير مشتاق

٢١ ـ انيسة: صديقة الاميرة محبوبة

أشخاص الرواية في الحلم

٢٢ ـ ملك الزمان: هو نفس الحاج ابراهيم.

الفصل الأول

في حي القلعة

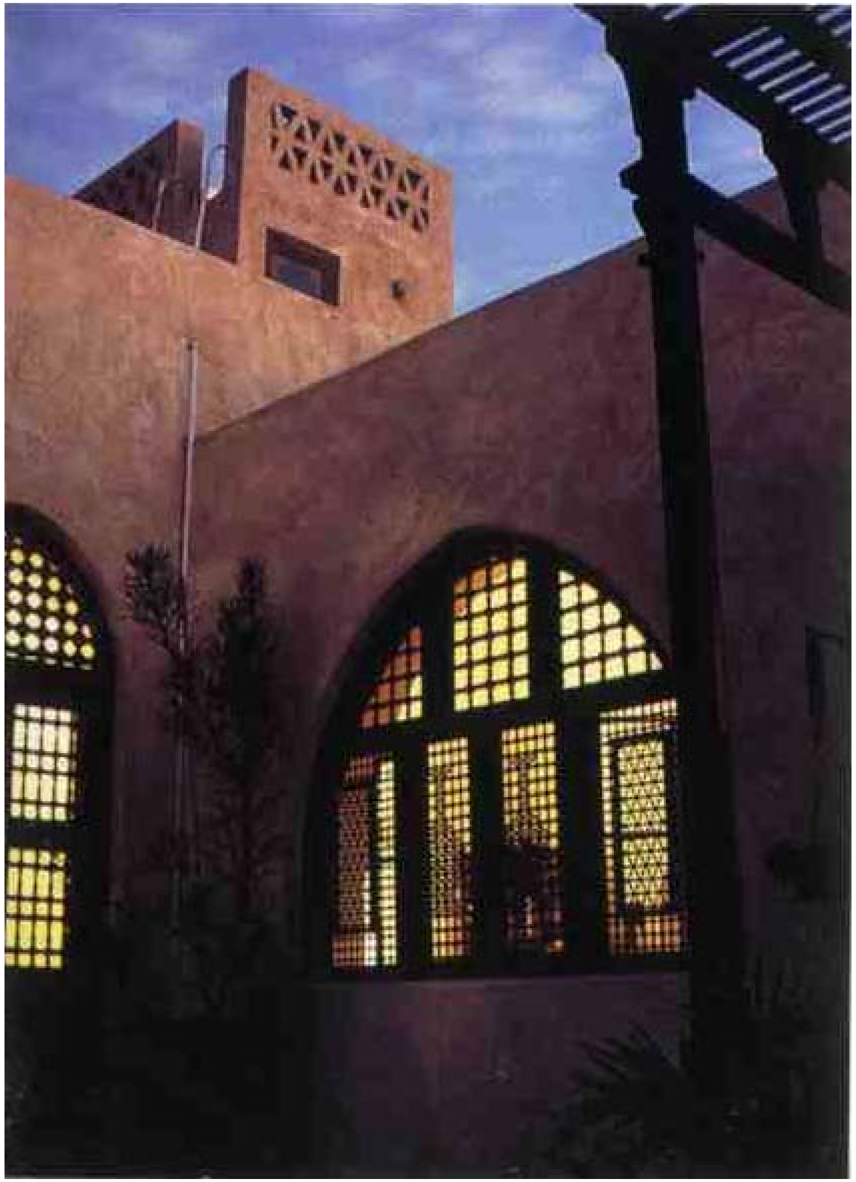
وكالة الحاج ابراهيم تاجر العاديات الشرقية في شارع الصليبة بجوار جامع صرغتمش. يظهر أمام النظارة واجهة الصحن الداخلية وعلى اليسار سقيفة أو دخول في البناء يتصدرها «دكة» وفي جانب الدخول فتحة توصل بين المجاز والصحن. تسطع الشمس على جدران الحوش بشدة بحيث يظهر ضوء الدخول ضعيفاً.

المعروضات متناثرة، مشربيات، أبواب، شبابيك من الجص والزجاج الملون قطع من الخشب المتآكل، عمد رخامية وأحواض وفساق رخامية أتربة وركام حجارة الخ...

يرفع الستار عن الحاج ابراهيم معطياً ظهره للنظارة ويعرض أمام التاجر الأجنبي وزميله «بارافان» على شكل مشربية وعلى يسارهما زوجة التاجر. ويظهر في ركن الصحن الأيمن المعلم اسماعيل صانع شبابيك الجص والزجاج الملون معطياً ظهره للنظارة ويقوم بعمل شباك.

التاجر: (يهز رأسه ويديه ويقول بصوت مرتفع) «لا لا لا يا حاج.. هذه حديثة ويعرض علينا الكثير منها كل يوم وبثمن زهيد جداً...»

زميل التاجر: لم يكن أهل زمان يعملون بارافان من المشربيات يا حاج.



التاجر: أريد قطعاً قديمة ـ قديمة جداً.. أعطنا يا حبيبي إذا كان عندك.

الحاج ابراهيم: عندك حق يا خواجة المشربية مكانها في الشباك ولكن الناس هذه الأيام يستخدموها كبارافانات، ومقاعد وطاولات.. ما علينا..

عندي غيرها. يبحث في الأخشاب المركونة على الحائط. ويخرج مشربية قديمة صغيرة الحجم يعرضها عليهم.

التاجر: هي جميلة ولكن يوجد كثير منها في السوق.. نريد أقدم من ذلك.

الحاج ابراهيم: أنا في خدمتكم ما دمتم تفهمون.

زميل التاجر: (في ابتسام) تظننا من السائحين؟

التاجر: يا حبيبي أنا تاجر مثلك.

زوجة التاجر: وعندنا محل كما عندك يا حاج.

الحاج ابراهيم: (في استعطاف) «عندك الخير والبركة» يتناول من خلف أحد الأبواب المركونة مشربية جميلة نقوشها على هيئة القنديل وشجر السرو.

التاجر: (ايوه) حسن، حسن، بدأت تفهم مرادنا، يبدو انك رجل طيب.. أرنا ما عندك من هذا النوع.

الحاج ابراهيم: الله يبارك فيك.. يهمني رضاكم وأن تعرفوا محلنا (وهو يقلِّب والتاجر يمعن نظره) «شرفتم» (يبادر بنظره إليهم بينما يتهامس المشترون)

التاجر: القطعة الأخيرة هذه يا حاج (مشيرا إلى المشربية) كم سنة مضت عليها؟

الحاج ابراهيم : مئات السنين.

زميل التاجر: كم سنة بالتحديد.

الحاج ابراهيم: انها من القرن الرابع عشر.

السيدة: هذا كثير!!

الحاج ابراهيم: هذه كانت في قصر وأنا الذي اقتلعتها عندما هدمه التنظيم لتوسعة الشارع وتاريخ هذا القصر معروف.

التاجر: هو صادق. يبدو لي أنها في حدود ما يقول.

الحاج ابراهيم: (إلى السيدة) أحب أن تثقي بكلامي.

التاجر: كلامك ثقة يا حاج.

زميل التاجر: إلا فيما قدمته أولاً.

التاجر: لا ضير، هذه طريقة العرض.

الحاج ابراهيم: عندنا لكل مشتر ما يطلب والناس تختلف.

التاجر: يسرني أن أشتري منك أنت.

الحاج ابراهيم: ويحلو لي أن اهاديكم بأجمل ما عندي.

زميل التاجر: ربنا يوفقك يا حاج.

الحاج ابراهيم: (في استبشار) الله يوفق البائع والمشتري.. هذه أرزاق وقسما.

السيدة: أنت مؤمن بالحظوظ يا شيخ العرب.

الحاج ابراهيم: ومقدر لقيمة بضاعتي.

الزميل: ولذلك أنت حريص عليها.

التاجر: وبخيل بها ـ تخفيها عن الأعين خلف الأخشاب.

الحاج ابراهيم: أنا بخيل بها...

التاجر: (مقاطعاً) ما علينا بكم يا حاج؟

الحاج ابراهيم: لك أن تقدر وأنت سيد العارفين.

(هنا يدخل حنفي الخادم ويقول للحاج ابراهيم):

حنفي: أفندي يطلب حضرتك يا حاج.

الحاج ابراهيم: قل له يتفضل ينتظرني دقيقة.

التاجر: بِكَمْ يا حاج بِكَمْ؟

الزميل: طال بنا الوقت هنا.

السيدة: يظهر أن شيخ العرب رجل ماهر

الزميل: وقديم في المهنة.

الحاج ابراهيم: أنا من سن هذه المشربية.

(يضحك الجميع)

التاجر: قل يا حاج.

الحاج ابراهيم: كلمة واحدة بصراحة.

السيدة: نعم بصراحة كلمة واحدة.

الحاج ابراهيم: آخر كلام خمسون جنيهاً لكم.

التاجر: لا، لا.. يا حاج... كتير.

السيدة: (في صوت مرتفع) يا حفيظ خمسون جنيهاً؟

الزميل: لا، لا.. يظهر انك لن تبيع.

الحاج ابراهيم: رأيكم. طلبتم كلمة واحدة. وهذه كلمتي بين البائع والشاري.. يفتح الله (يشير بيده).

الزميل: بائع وشاري.. هذا كلام بعيد جداً.

التاجر: دعنا يا حاج من هذا الثمن. وأعطنا الكلام المفيد.

السيدة: يظهر انك تحب المزاح.

الحاج ابراهيم: قلت أقدم ما تطلبونه هدية.. هدية للسيدة (مشيراً إليها) يظهر أنها... جامدة جداً.

السيدة: جامدة.. (لا تفهم).

الحاج ابراهيم: يعني انك حريصة على المال.. هذه نفائس لا تقدر بثمن.. الله يجازي الأيام.. أين الوقت الذي كنت أطلب في مثل هذه القطع مئات الجنيهات فأعطى كما أقول.

الزميل: رحم الله أياماً مضت.

التاجر: أعطيك يا حاج عشرة جنيهات.

الحاج ابراهيم: (يجيب في تأسف) لا حول ولا قوة إلا بالله.

التاجر: خمسة عشر.

الحاج ابراهيم: يفتح الله (في اعتداد).

التاجر: عشرون جنيها.. آخر ثمن.

الحاج ابراهيم: عشرين أيه بس، بس.

السيدة: (في حدة لزوجها) أطمعته فيك.. إنها لا تساوي أكثر من عشرة جنيهات.

الحاج ابراهيم: (في رزانة وثبات) قولي ما تشائين.

الزميل: الحق ما تقول السيدة يا حاج.

التاجر: (منتحياً وزوجته جانباً ويسر إليها) نعم، نعم سنتركه حتى الغد.

السيدة: وفي الغد يعطيك بالثمن الذي قدرته.

الزميل: (منضماً إليهما) وأقل مما قدرنا أنه لا يدرك قيمتها ولن يجد من يشتريها.

الحاج ابراهيم: (يسمع كلمة التاجر فيحتد) لا أعرف قيمة ما عندي؟.. إنها عندما كانوا يهدمون القصر، كانت في جدار مهدد بالخطر، فكان مقدراً أن تسقط وتتكسر ـ صعب عليَّ ذلك فخاطرت بحياتي وتسلقت الجدار وانزلتها سليمة. وأنتم تقولون إني لا أعرف قيمتها.

التاجر: عفواً يا حاج عفواً.

السيدة: لا لا... يا حبيبي سنعود إليك غداً لتستشر عقلك ليس عندنا وقت الآن.

الحاج ابراهيم: طيب.. أنظر شوية الكسر هذه جايبين لي مكسب

١٢٠٠ جنيه ولو أحببت كنت أعمل آلاف الجنيهات زي غيري. لكن يا خواجة أنا راجل يحب الأصيل.

التاجر: هذا آخر كلام. انظر في الأمر إلى الغد.

الحاج ابراهيم: كما تحب ولك الخيار.. إن عدتم أهلاً وسهلاً. مع السلامة يا خواجه شرفتم

(الحاج ابراهيم يخرج معهم إلى الباب وفي عودته يجيء خالد وينتقلا إلى داخل الحوش وعلى سحنة خالد سحابة من الجد وعلائم التأثر ـ يسير معه الحاج وهو متكلف اشراق الوجه وابتسامة غير مكترث).

أهلاً أهلاً

خالد: حاج ابراهيم؟

الحاج ابراهيم: أجل يا بني تفضل أولاً.

خالد: أشكرك.. أتعرف كيف اهتديت إلى محلك هذا.

الحاج ابراهيم: هل هناك أحد لا يعرف الحاج ابراهيم. أنا يحضر عندي بشوات وافرنج من الناس الطيبين. لا تنظر إلى من كانوا هنا.. هؤلاء تجار. أيديهم لا تقطر الماء.. الآن قل لي.. من الذي عرفك على محلي.

خالد: الست الافرنجية التي اشترت الحوض الرخام أول أمس.

الحاج ابراهيم: آه.. أعرفها جيداً الست هيلين تعجبني.. هي تفهم اشترت هذا الحوض لتتخذ منه نافورة في حديقة المنزل. وخدمة

لها أرسلته مع صانع لا مثيل له.

خالد: (يلتفت إلى المعروضات متنقلاً في خطوات هادئة ونظرة متأمل، ووراء الحاج يقف أمام فسقية).

أهذه قديمة يا حاج.

الحاج ابراهيم: الحقيقة ان رخامها هو القديم.

خالد: إنها جميلة جداً (يستمر في تنقله بين المخلفات) وما تلك يا حاج (مشيراً إلى كلجة).

الحاج ابراهيم: هذه كلجة كانت قديماً توضع قاعدة لزلعة من الفخار لتلقي الماء المقطر، الكبيرة كهذه كانت تستعمل للوضوء، والصغيرة كتلك كانت تستعمل للشرب. وعندي واحدة منهن التي أمامك عند المدخل ماؤها شفاء.

خالد: عجيبة وشكلها غريب.

الحاج ابراهيم: تأملها تجدها على شكل سلحفاة.

خالد: ماء وسلحفاة. اختيار جميل.

الحاج ابراهيم: القدامى كانوا أهل ذوق. ولا تنسى ان برودة الماء فيها لا تؤذي مثل الثلج.

خالد: (مستمر في تنقله) دعني أرى هذا الباب يا حاج.

(يتقدم لمساعدته).

الحاج ابراهيم: عفواً يا بيك ـ سلمت يمينك. هذا عملنا.

خالد: إنه جميل جداً.

هيلين: (تدخل هيلين من ورائه دون أن يرياها تشترك في الفرجة). جميل حقاً أليس كذلك؟

هيلين : هالو خالد (متصافحان).

الحاج ابراهيم: أهلاً وسهلاً بالست، لا مؤاخذة يدي عليها تراب (معتذراً عن مصافحتها).

هيلين: اتفضلا.. استمرا أريد ان أشترك معكما في الاستعراض (ملتفتة إلى خالد) ما رأيك يا خالد في محل الحاج ابراهيم؟

خالد: جو غريب. قطع خشب محطمة.. ومشربيات جميلة يكسوها التراب ـ قطع من حديد صدئة ـ فساقى بالفسيفساء والرخام الملون. بقايا أعمدة ـ ركام من الحجارة. أشعر أنني في كنز مدفون بين خرائب.

هيلين: كنت متوقعة أنك ستُأخذ بجو هذا «المحل» .

خالد: ولا تنسي شخصية الحاج ابراهيم نفسه.

(الحاج ابراهيم يزيل الغبار عن الباب الذي كانا يتفرجان عليه يعاونه صبي المحل في تقديمه).

هيلين: إنه جميل.. جميل جداً كيف عثرت عليه؟

الحاج ابراهيم: انتما تتحدثان عن كنز وتراب.. لست أفهم.. باب.. أنظرا ما عليه من نقش.. مطعّم بالعاج (والحشوات) هذه من خشب صاج هندي (ينقر باصبعه على الحشوات) لو رأيتما هذا الباب

قبل ان أنظفه لما عنيتما بالنظر إليه.. لقد أزلت من عليه ثلاث طبقات من البوية (كان مدهون ريبولان) وتحته «بوية» زيت من كل الألوان وفي الآخر نقش تركي.. ورد وزهريات إنما كان عجيب جداً. ولإزالة كل هذا أحضرت نجاراً فك هذا الباب قطعة قطعة.. نجار فني... وغسلناه بالبطاس. هذا هو الكنز الذي كان مدفوناً تحت «الريبولان».

خالد: (إلى هيلين) يا ترى الحاج يعني ما يقول؟فكأنه يرمز بطبقات البوية إلى الأجيال التي تعاقبت على مصر منذ تخلت عن تقاليدها ممعنة في طمس معالمها.

هيلين: إنه منطق الحقيقة التي تتردد على ألسنة الفلاسفة والشعراء والبسطاء من الناس حينما يكونون هم هم.

خالد: (يقف أمام شبابيك الجص والزجاج الملون) جميل.. جميل

الحاج ابراهيم: (يتأمل أحد الشبابيك يعرضه للنور مشيراً إلى النقش) نقش شجرة السرو.. كم هي جميلة (يظلم المسرح وتبقى الشبابيك وحدها مضيئة).

خالد: هي جميلة حقاً.. أرني الشباك هذا.

الحاج ابراهيم: (يعرض شباكاً آخر للنور) هذه زهرية.

خالد: وهذا زهر القرنفل أليس كذلك يا حاج.

الحاج ابراهيم: إنه لكذلك. وتلك وردة رسمها عجيب.

خالد: بديع (يهز رأسه) صناع هذه الشبابيك أين هم.لا أظن أحداً باقياً حتى اليوم.

الحاج ابراهيم: موجودون. لكن هم قليلون.

خالد: مش ممكن، مش معقول.. أحقيقة أن منهم بقية حتى اليوم (في شبه غير مصدق).

الحاج ابراهيم: معاذ الله يا بيك ان أقول غير الصدق.

خالد: لا تؤاخذني يا حاج لم أقصد.. أنا كنت اعتقد أن هؤلاء الصناع انقرضوا من زمن وان الموجود من تلك الشبابيك مخلفات من حكم الآثار. إنه قلقي على القريب العزيز الذي ظنناه قد مات فسلمنا بقضاء الله، وإذا بقلبه ينبض ضعيفاً فتشتد بنا اللهفة. قد تكون إرادة المولى في أن يعود إلى الحياة.

الحاج ابراهيم: إن المعلم الذي يصنع هذه الشبابيك هو هناك يشتغل في الركن .

هيلين: إن هذا شيق

الحاج ابراهيم: (ينادي) يا معلم اسماعيل.. يا معلم تعالى كلم البيك (يتقدم المعلم اسماعيل).

المعلم اسماعيل: السلام عليكم يا بيك.

خالد: اسمي خالد فحسب.

الحاج ابراهيم: وجناب الست هيلين.. ذاك هو المعلم اسماعيل.

خالد: انت يا معلم من يصنع الشبابيك الجبس؟

المعلم اسماعيل: أنا في الخدمة يا بيك على قدر الحال.

خالد: عندك عمل كثير؟

المعلم اسماعيل: والله يا بيك تعبانين، ما حدش بيعوزنا الأيام دي كثير.. مضى علي ثلاث شهور وأنا متعطل.. ليس عندي عمل وآخره في القدس حين أرسلتني مصلحة الآثار لاصلاح بعض شبابيك قب الصخرة. ما هية لا بأس بها. لكن المعيشة هناك غالية.. ما أخذناه صرفناه. ومن يومين فقط أعطاني أحد المعماريين «رسومات» لطيفة اشتغل فيها الآن إلى جانب هذين (مشيرا) الشباكين اللي اداهم لى الحاج ابراهيم لتصليحهم. والحال يعلم به ربنا.

هيلين: ممكن اصلاح هذين الشباكين؟ انهما محطمان.

المعلم اسماعيل: في استطاعتي أردهم زي ما كانوا. وبإذن الله ترجع ألوان القزاز القديمة أيضاً طبق الأصل.

الحاج ابراهيم: الشباك ده (مشيرا إلى أحد الشبابيك التي كان قد عرضها عليهما) كان محطما أكثر من هذين الشباكين اللذين تتكلمان عنهما ـ المعلم اسماعيل اصلحه بحيث لا تعرف اين القديم من الجديد. إنه رجل فني صحيح.

خالد: هناك غيرك يا معلم اسماعيل يشتغل بصنعة الشبابيك الجبس؟

المعلم اسماعيل: الباقون ثلاثة (بخلاف محسوبك) لطفي وأمين في مصر وعبد الغني في رشيد. رجل عجوز إذا كان عايش الآن يكون غير مشتغل.

خالد: هل لك أولاد؟

المعلم اسماعيل: عندي ولد سنه تسعة عشر والثاني عشر سنين.

خالد: تعلمهما صنعتك.

المعلم اسماعيل: لا يا بيك. صنعتنا لا تدر علينا الخير. ونظل كثيراً في حاجة إلى القوت الضروري لأنه لم يعد لهذه الشبابيك مكان في العمارة الحديثة السائدة اليوم. ومن أجل هذا اخترت للأكبر صنعة (ميكانيكي) والأصغر في المدرسة.

هيلين: (في تعجب) هل أفهم من حديثكم أن بعد جيل المعلم اسماعيل لن يستمر أحد في هذه الصنعة وتفقدونها؟

خالد: إن الأمر محزن. ولكن هو الواقع. وعلينا تدارك الأمر بعمل حاسم كي نحافظ على هذه الفنون اليدوية التي نتلقاها جيلاً بعد جيل فإذا انقطعت حلقة من صناعها فقدت الى الأبد.

(متوجهاً إلى المعلم اسماعيل).

ما رأيك يا معلم ـ لو وظفناك في مدرسة أتقبل أن تعلم تلاميذ على يديك؟

المعلم اسماعيل: لا.. يا بيك، أحنا لم نتعلم في مدارس.. الصنعة هذه يلزم ـ أن يأخذها الصبي عن المعلم ـ كما تعلمنا. إذا رغبتم في أحياء صناعتنا فعليكم أن تخلقوا لنا الطلب لهذه (يشير إلى الشبابيك) وعند ذلك تجد عندي عشرين صبياً يتعلمون الصنعة وساعتئذ أعلم ابني الصغير إذا كان تعليمها فات الكبير.

خالد: (متوجهاً إلى هيلين) لست أرى كيف نخلق الطلب لهذه الشبابيك وغيرها ما لم نرجع الروح المصرية بأن نحسن التوجه ونردد نغم هذه الأرض التي نحن فيها. نتعرف على رغباتنا الحقيقية عن

طريق احساسنا المباشر لا عن طريق احساس الغير.. من غير خجل ولا وجل من أنفسنا كما نحن عليه الآن (ملتفتاً الى المعلم اسماعيل) قل لي يا معلم هل يمكن تجديد هذه الرسومات واستحداث نقوش على شكل مبسط يتفق والحياة البيئية الحديثة لتسرنا بالوانها الجميلة..؟

المعلم اسماعيل: (ناظراً إليهما) يا بيك أحب ما عليّ أن أريكم الرسومات التي أعطانيها المعمار الذي كلمتكم عنه. لقد قاربت انجاز معظم هذه الشبابيك انها هنا في الداخل..

(يدخل غرفة جانبية والكل منتظر في صمت) ويخرج حاملا بعضاً من الشبابيك ـ «إنها رسومات عجيبة (يرفع أحدها ضد الضؤ) أنا مسرور منها جداً وبودي لو أشتغل في مثلها طول عمري ولو بدون مقابل.. إنها مثل ما ترى سعادتك، جديدة وفي الوقت نفسه قديمة.. هذا نقش مأخوذ عن «شباك قلة» أقدم من القديم.. رسمه أقدم من الشباك التركي الذي به السروة.. (ثم يعرض آخر) وهذه رسومات جديدة مستحدثة. انظر هذه سلحفاة وهذه الحشائش حواليها نبتت في الماء الذي يحيط بها.. (علامات إعجاب من الحاضرين) وهذا ديك عجيب.. هو ديك عجيب جدا.. انظر الى الريش.. لم أر في القديم مثل رسم الريش.

خالد: (الى الحاج ابراهيم) إن محلك مليء بالمفاجآت يا حاج. وإن قلقي على القريب العزيز ازداد بعد ان رأيت عمل هذا المهندس مع المعلم اسماعيل. متشكرين جدا يا معلم اسماعيل وأرجو ان لا تنقطع صلاتنا منذ الآن.

المعلم اسماعيل: ربنا يخليك يا بيك. إن قلبي يحدثني ان اهتمامك بحالنا سيدوم (ينصرف الى عمله).

خالد: (ينتقل الى المشربية التي كان يفاصل فيها التاجر الاجنبي) أرنا يا حاج هذه المشربية.

الحاج ابراهيم: (للخادم) يا ولد.. امسك من هنا (يرفعان المشربية).

هيلين: أدرها في مواجهة النور.

خالد: هذه قطعة جميلة جداً صانعها رجل فنان. بتحويره البسيط في الأوضاع التقليدية للمشربيات أبدع تاثيراً زخرفيا يعتبر فتحاً واسع الأفق. انظري كم هو جميل ادخال السروة في المشربية بهذا الوضع (مشيراً الى الزخرف).

هيلين: أجل ولأول مرة يقع نظري على مثل هذا النوع من المشربيات.

الحاج ابراهيم: (في زهو وبراءة) مشربية ليس لها مثيل ولا في دار الآثار. لم أعثر في حياتي على نظير لها. كلما نظرت فيها تعجبت من صانعها ـ يا سلام كان مبدع صحيح.

هيلين: أتعرف يا حاج من أي العصور هي؟

الحاج ابراهيم: المشربية هذه.. (وتلك النجارات) أخذتهم صفقة واحدة من هدم بيت في حي النحاسين.. تاريخه يرجع الى القرن الرابع عشر هدمته البلدية لتوسعة الشارع وبناء عمارات سكنية لأصحاب الوقف.

هيلين: أعجب لكم أنتم أبناء مصر. تتركون مثل هذه البدائع وتندفعون وراء الغربي ولو كان رخيصاً.

خالد: مؤلم. مؤلم حقاً. ليست مصر فحسب. أغلب الأمم الشرقية بهرها بريق المدنية الغربية فعمى عليهم. تخلينا عن ما أبدعه أسلافنا وأوحت به بيئتنا وهيىء لخدمتنا (يشير) الى «المشربية»، إنها تلطّف الجو، تنقي الهواء تقي الأعين وهج الشمس وانعكاسات هواء بلادنا الشديد، ترد النظرات المتطلعة الى ما وراءها.. أخرجها الصانع في أبدع تكوين فجاءت بهجة للخاطر ومسرة للناظر.

إني أراها تحفة فنية تزين المكان الذي توضع فيه. لقطناها ورمينا بها من الشباك العادي الذي ليس له مزاياها .

هيلين: مثلكم مثل أم علاء الدين حين استبدلت المصباح السحري الذي له خادم من الجان بمصباح عادي من «الصفيح» لا يساوي أكثر من بضعة قروش.

الحاج ابراهيم: (في سرور) يا بيك كلامكما دخل قلبي ـ وأنا فرح بوجودكما عندي. لو تسمح لي بالكلام: أهل زمان كانوا يبنون القصور ويجودون بالمال من غير حساب حتى تفوق ما عمل في وقتها وما سبقها مما شجع الصناع على التفاني في دقة الصنعة وحسن الابتكار.

والآن تبدل الحال غير الحال، تهدم القصور (يضحك) صناعتي الهدم.. في قدرتي أن أهدم أي بيت في لمح البصر.

خالد: كلامك صحيح الأغنياء يهدمون قصور أبائهم وأجدادهم ليقيموا مكانها عمارات تجارية لغيرهم من الناس، تدر عليهم من الربح كذا في المائة، هذا هو العصر الحديث. عصر المادة.. «عصر الكذا في المائة» .

الحاج: ليس هذا فحسب.. قطعت أرزاق الصناع أهل الفن ولم يبق منهم إلا أقل من القليل. إذ تحتاج إليهم العمارات الحديثة.

خالد: يجب عمل شيء.. شيءجدّي.. يا الله...

هيلين: أنت ترغب في بناء «فيلا» فهيًا.. هيّا نفذ الفكرة.. أرنا همتّك.

خالد: الفكرة اختمرت في رأسي من الآن وفي نيتي أن أقوم بها... (يضحك بمرارة كمن يكلم نفسه) إذا نظر أحدنا إلى العاديات في المتاحف تهلل لجمالها وعند التنفيذ يترك كل أفكاره وينسى إعجابه داخل المتحف ويخرج إلينا عكس ما يقوله ويطير به عجباً.

عشنا ما يكفي.. على مجد الأقدمين.. وتشدقنا بما فيه الكفاية بسيرة الأهرام وأبي الهول وجامع السلطان حسن..علّنا أن نقوم بدورنا في إحياء ذلك المجد خارج الورق والكلام... حتى نرد المجد إلى الحياة. المثل ماثلة أمامنا رهينة الإشارة لتكون في خدمتنا (ناظراً إلى الحاج ابراهيم) إذا بدأت في بناء بيت على الطراز العربي الحديث ممكن تعرفني بالمعمار الذي تكلم عنه المعلم اسماعيل وهل تجد عمالاً وصناعاً كالمعلم يمكنهم تحقيق ما نصبوا إليه؟..

الحاج ابراهيم: الصناع قليلون ولكنهم موجودو ن، هم متناثرون وفي استطاعتي جمعهم واحضارهم عندما تطلب.. عليك أن تقرر وباذن الله يكونون عندك دون أن تتعب نفسك.

خالد: أنا نويت باذن الله.. نهائياً عليك أن تمكنّي من مقابلة المعمار حتى نبدأ في الحال، إني أرجو وآمل أن نرى مثل هذه المشربيات والشبابيك والفساقي وغيرها من التحف في وضعها الحقيقي نقيم لها

البيوت تضفي عليها من روعتها المعمارية وكأنها القلائد قد زينا بها جيد الحسان.. هذه هي الطريقة المثلى لبعث تلك الفنون...

يا حاج اني لا أعتبرك غريباً عني.. أنا سأتزوج عن قريب وعندي قطعة أرض للبناء وإلى الآن لم أسترح إلى رسم مما عرضه عليّ المعماريون. ولما زرتك ورأيت ما عندك اختمرت الفكرة وأرجو البدء في تنفيذها وسننجح باذن الله.

الحاج ابراهيم: (مبتسماً مسروراً في بساطة). تتزوج الست هيلين.. دي ست طيبة جداً.

خالد: لا يا حاج اننا اصدقاء... خطيبتي مصرية، ما علينا.

الحاج ابراهيم: ربنا يعينك ويتمم بخير ولا مؤاخذة يا بيك.

خالد: (متجهاً نحو المشربية ذات السروات) نريد الكلام الجاد. أرغب في أشياء كثيرة من عندك. نبتدىء أولاً بهذه المشربية (مشيراً إليها) ماذا تطلب يا حاج؟...

الحاج ابراهيم: لعلك سمعت كلامي (للخواجات) الذين كانوا هنا ساعة حضورك ثمنها للتاجر خمسون جنيهاً.

خالد: (مبتسم) غير أني سمعت السيدة التي معهم تقول إنها لا تساوي أكثر من عشرة جنيهات.

الحاج ابراهيم: إذا كان على هواها.. تريد أن تأخذها بعشرة بدل الخمسين يا بيك أنا لا أريد أن أكسب منك أريد أن آكل عيشاً وفي سبيل رضاك سأعطيك إياها بأربعين جنيهاً هذا أساس ثمنها على المحل.

خالد: كلامي مزاح معك يا حاج لك فيها الخمسون جنيهاً.. أنا أعرف قيمتها لقد كنت متألماً من مساومة التجار الذين كانوا عندك وكنت أخشى أن تفرط فيها ومع إني لم أكن قد رأيتها فما بالك الآن؟ هذه نفائس ميراث أجدادنا وعندما أرى شيئاً منها يضيع تكاد تقتلني الحسرة. إنها ليست ملكنا إنما هي قطعة من مصر بل وأكثر لأنها قطعة حية. احتفظ لي بكل المعروضات حتى اختار منها ما أريد وهاك مبلغاً تحت الحساب ولن أساومك بعد الآن يا حاج.

الحاج ابراهيم: يا سلام يا بيك كلنا ملكك والغالي يرخص لك. وما تشير إليه يصح في تصرفك ولن أسمح في بيع شيء مهما دفع لي فيه من مال حتى تأذن لي.

خالد: الله يحفظك.. همتك معروفة. أنا أحببتك من أول ما قابلتك.

الحاج ابراهيم: بودي أن أرى وجه التجار الأجانب الذين كانوا هنا في الصباح حين يأتون في الغد ويجدون أن العصفور قد طار من القفص.

(يسمع صوت بوق سيارة).

خالد: دعنا منهم.. أتركهم لا يهمنا أمرهم.

الحاج ابراهيم: الانسان يا بيك لا يقدر على الكلام، دي حاجة تغيظ ولكن ما الحيلة.

(يدخل سائق سيارة رفيعة في زيه الرسمي متجهاً إلى خالد).

السائق: تفضلوا الست في انتظاركم بالسيارة في الخارج.

خالد: سأخرج لمقابلتها.

(إلى هيلين) دقيقة أحضر رفيعة أريد أن تتفرج على هذه التحف.

هيلين: تفضل.. تفضل.. يسرني أن أراها.

(يخرج خالد)

(تلتفت هيلين إلى الحاج ابراهيم) الست القادمة هي خطيبة خالد (تبتسم) وليست أنا.

الحاج ابراهيم: مناي أن تكون معاملاتي كلها مع أمثال خالد بيك.

هيلين: لقد صرتم أصحاباً بسرعة كما رأيت

(يدخل خالد مصطحباً رفيعة) وهي تنقل خطواتها في حذر من الأتربة وتتجه إليها هيلين في بساطة.

رفيعة: بنجور هيلين. كيف حالك؟

هيلين: بنجور رفيعة، بخير الحمد لله (مشيرة إلى الحاج ابراهيم).

الحاج ابراهيم صاحب المحل.

رفيعة: (غير عابئة) لو كان في حسابي إني سأدخل هنا لحضرت ملابس الرحلات.

خالد: نعم هذه رحلة كما تقولين.. رحلة إلى الماضي البعيد..

رفيعة: (تشير إلى زلعة كبيرة) زلعة علي بابا.. فيها كم حرامي يا حاج.. (جو مرح).

الحاج ابراهيم: لا تخافي يا سيدتي.. (ملتفتاً إلى خالد).

طمئنها يا بيك.. ليتها زلعة علي بابا كنت أبعيها للامريكان بألف جنيه

هيلين: (إلى رفيعة) لو حضرت من الأول كنت رأيت باقي تراث ألف ليلة وليلة.

رفيعة: مع تراب كثير.

الحاج ابراهيم: ألف ليلة وليلة.. المشربية هذه لها قصة أحسن من ألف ليلة وليلة لو تشرفوني أي يوم ليلاً أقدم لكم الشاي العربي وأحضر لكم الشاعر يروي لكم قصة هذه المشربية حتى الآن يتحدثن بها عجائز الحي ويؤكدن إنها واقعية.. وحوادثها حصلت منذ زمن قديم.. تفضلوا الليلة (ملتفتاً إلى خالد) وأحضر لك الجوزة أيضاً إذا أحببت.

هيلين: شيق جداً أود من قلبي أن أسمع القصة. ستكون أحسن خاتمة لهذا اليوم.

خالد: ما رأيك يا رفيعة.

الحاج ابراهيم: لو شرفتنا الست ستسّر لأن الحكاية لطيفة .

رفيعة: اعفني يا خالد انا على موعد الى «السينما» ويكفي ان تسمعها هيلين (بتهكم خفيف) الم يحن بعد ان ننصرف.. لا تنسى اننا مدعوون للغذاء عند رمزي بك.

خالد: نشكرك يا حاج قد قبلنا دعوتك. وسنحضر لسماع قصة المشربية في المساء بإذن الله. انتظرنا يا حاج.

(تهز هيلين رأسها بالموافقة).

(يخرجون في صحبة الحاج)

«ستار»

الفصل الثاني

المنظر الأول

يفتح الستار عن وكالة الحاج ابراهيم في المساء، بسقف السقيفة مصباح زيت ضوؤه خافت بينما الحوش في شبه ظلمة لا يضيئه سوى نجوم سماء صافية بحيث تظهر خيالات المبنى، والتحف دون التفاصيل.

الحاج ابراهيم يقدم الشاي للشاعر ذو الربابة ولاثنين من أهل الحي المعتادي السهر لديه ـ في انتظار خالد وهيلين.

ـ (حوار بسيط لتعريف هؤلاء بالضيوف).

ـ يحضر خالد ومعه هيلين بعد قليل.

ـ (حوار) تعارف بين أولاد البلد وخالد وهيلين. تستعمل فيه لغتين مختلفتين لكن ذلك لا يمنع أن يحصل التلاقي بين الطرفين في احترام وتفاهم متبادلين ينتهي بابتداء الشاعر في قصته..

قصة الشاعر

«كان يا مكان، كان في سالف الزمان أمير شاب اسمه مشتاق من مصر وكان يختلف عن باقي الشبان. ذواقة للجمال أوتي موهبة التمييز في الفنون لا يستوقفه إلا ما ندر من التحف.. وكان الأمير مشتاق وحيداً إذ مات أبواه وهو صغير ولذا نشأ قليل الاختلاط بالناس لم يكن له سوى صديق واحد اسمه نديم.

رسم الجواش الذي رسمه فتحي لمسرحيته "قصة المشربية" التي وصفها علي إنها نوع من الحكاية المعمارية حيث تمثل المشربية المصنوعة باليد المهارات التقليدية المنتقلة من جيل إلى آخر . تحذر المسرحية من فقدان العمارة التقليدية .
الكتابات في الأعلى و الأسفل تسجل محادثة باللغة العربية بين شخصيتي مشتاق و نديم و يلاحظ الخط الفارسى المستخدم للكتابة.



كان الأمير مشتاق لا يشعر بالاستقرار في قرارة نفسه، دائم البحث عن شيء لم يعرف كنهه ولم يجده في بلده، لذا فكر في الرحيل إلى خارج البلاد وكأنه يتابع بحثه في هذا المجهول الذي يفتقده للحصول على استقرار أحاسيسه.

وفي أصيل يوم من الأيام بينما الأمير مشتاق يمشي في أحد أحياء القاهرة، ساقته قدماه إلى شارع لم يكن قد مر به من قبل،رأى به قصراً جميلاً لم تر عينه له مثيلاً في حسن التنسيق والانسجام. استرعى نظره فيه مشربية جميلة دقيقة الصنع، تفنن فيها صانعها حتى أتت تحفة رائعة، جعلت مشتاق يقف تحتها يتأمل جمال نقشها وكأنه يتغزل في جمال حسناء.

كان القصر محوطاً بالغموض لا تبدو من خلال نوافذه المغلقة أي بادرة من بوادر الحياة، فكان هذا مما شجع الأمير مشتاق في أن يطيل النظر إلى تلك المشربية دون خشية لائم. ولم يدر أن الأميرة محبوبة أجمل بنات عصرها، وحيد ة صاحب القصر، جالسة وراء تلك المشربية في تلك اللحظة.

كان الأمير أبوها يحب زوجته حباً كبيراً اختطفتها منه يد الأقدار. ولذا كان دائم السفر والترحال ينشد السلوى. وكان يخشى أن يعرض الأميرة لأخطار السفر والمجهول ولذا كان يتركها في قصره في رعاية إحدى قريباتها «أنيسة» التي كانت لها خير أنيس. إذ كانتا تحبان بعضهما كل الحب وكأنهما أختين شقيقتين، مما كان يخفف عن الأميرة محبوبة وحشة الوحدة أثناء غياب أبيها الأمير.

وبالرجوع إلى الأمير مشتاق نرى أنه فتن بتلك المشربية. وكان من

إعجاب مشتاق بهذا القصر وتلك المشربية أن جعل نزهته اليوميةبالقرب منه، وكان في كل مرة يقف عنده يرفع البصر إلى تلك المشربية. وكان من حب الأميرة محبوبة له أنها كانت تنتظر حضوره في ميعاد مروره لنزهته في لهفه واشتياق، أخذا يشتدان مع الوقت.. إلى أن جاء يوم عزم فيه مشتاق على الرحيل إلى خارج الديار.

(إن مشتاق كان يشعر في قرارة نفسه بقلق غامض وكأنه ينقصه شيء لم يعرف ما هو فكان دائم البحث فيما حواليه عن ذلك الشيء الذي لم يعرف كنهه وأخيراً اشتد به القلق فقرر الرحيل إلى خاج الديار).

وفي يوم السفر جاء مع نديم الذي كان يحاول جهد طاقته إثناؤه عن عزمه لكي لا يترك الديار، وفيما هم في نقاشهم ساقه شوقه الكامن لتوديع تلك الدار إلى أن يمر بها كعادته.

(هنا يضيء الجزء الأيمن من الوكالة من فوق الدور الأرضي المنهدم ويظهر جزء من القصر وفيه المشربية ـ ومشتاق ونديم وهما سائران إليه.)

ـ في وداع نديم ومشتاق

نديم: (مرغِّباً مشتاق على البقاء بمصر) ويعرض عليه فكرة الزواج وأن يعيش عيشة عادية كباقي الناس.

«ما رأيك في ابنة ابراهيم الطنطاوي إنها أسرة ثرية والفتاة جميلة كما حدثوا عنها؟

مشتاق: لم أعرف عنهم شيئاً.. من هم؟

نديم: إنه ذلك التاجر الذي يقطن المنزل ذي الباب الأخضر في شارع سوق الحديد..

مشتاق: لم أر في هذا الشارع بيوتاً لها أبواباً خضراء أو حمراء. كلها سواء ولم يلفت نظري منها واحد. وأخشى إن تزوجت بابنة الطنطاوي هذا ان يغيب عني التعرف على المنزل لأن ذاكرتي ضعيفة في حفظ الألوان..

نديم: (يضحك) إنك مداعب صعب الانقياد.. دعنا من هؤلاء.. لديك أسرة علي الفيومي هؤلاء وسع عليهم وازدادوا بسطة من المال والشهرة.. وقد شيّدوا منزلاً بابه من أضخم الأبواب.. هذا لن تخطئه عينك.

مشتاق: بابهم عالي كبير ولكنه غريب ومستهجن.. مبتذل ورخيص.. لا يمكن ان تخطئه العين.. لأنه يصرخ عالياً بحديث نعمة هؤلاء القوم وحبهم للظهور إذ ليس وراءه شيء.

«لقد دخلت منزلهم هذا ـ قاعاته واطئة، وحجراته ضيقة ـ إنهم قوم محبون للمال كلما وسع الله عليهم ضيقوا على أنفسهم..

نديم: ليتني أرى كيف السبيل إلى إزالة ذلك القلق الذي استحوذ عليك.

مشتاق: لست أدري ما بي يا نديم نفسي.. لقد ملكني السأم.. كل شيء يسير على وتيرة واحدة. والحياة أصبحت تكرار ممل، إن اليوم كالأمس وأخشى أن يكو ن الغد صورة من اليوم. أصبح العالم وكأن حلقاته تضيق حولي..

(يسيران في صمت إلى أن يصلا إلى أمام قصر محبوبة . يقف مشتاق أمام المشربية كالمعتاد ينظر إليها وكأنه يودع حبيباً).

«لست أدري هل هي الأقدار أم هي رغبتي في وداع هذه الدار ـ هي التي ساقتنا إليها. أذ قد أصبح لها في قلبي مكان. إنها من خير ما رأيت.. ولن أنسى ما عشت هذه المشربية وكأن زخرفها نغم ينبعث عن أوتار المزهر.

نديم: أصغ، أو ليس ما نسمع موسيقى؟

مشتاق: أشعر كأنها موسيقى ولا مشربية،أو مشربيّة ولا موسيقى.. عجباً، كنت أحسب هذا ا لبيت الذي يخيم عليه السكون غير مسكون.

نديم: حقاً يبدو هذا البيت وكأنه غير مسكون فمن يدري ما يمر به؟ هل أهله مقيمون به أم عنه مرتحلون.

مشتاق: ومن هم أهله؟

نديم: هم أسرة أمير، ذهب الناس في جنسه مذاهب شتى، فالفرس يقولون إنه من اصفهان والعراقيون إنه من الموصل والسو ريون يقولون إنه من دمشق والمصريون إنه من قاهرة المعز لدين الله.

مشتاق: حسبنا دليلاً على عريق أصله حسن ذوقه فإذا كان هذا مبلغ عنايته ببيته من الخارج فكيف به من الداخل؟

نديم: إن كل من زاره خرج محدثاً عن نوادر تحفه وأنيق رياشه. يأتي رئيس القافلة ويقطع عليهما الحديث.

رئيس القافلة: لقد شددنا الرحال والقافلة في انتظاركم أيها الأمير مشتاق.

مشتاق: (في عجلة وحزم) وداعاً يا أخي.. وإلا لما تمالكت نفسي وقد ازمعت الرحيل..

يتعانقان

مشتاق ورئيس القافلة يسيران بعيداً عن نديم.. ونديم واقفاً مكانه حزين. يرقب ابتعاد مشتاق. بينما يسمع اللحن المنبعث من وراء المشربية وقد تغير وأصبح حزيناً.

نديم: وكأن اللحن العذب قد أصبح حزيناً على فراقك يا أوفى الخلان. وداعاً يا مشتاق وأعادك المولى إلينا ناعم البال.

ستار

المنظر الثاني

داخل الحجرة التي بها المشربية والتي تتصدرها وتحتها أريكة مغطاة بالحرائر وعليها الوسائد وأمامها طاولات صغيرة. محبوبة جالسة ومعها تطريز في يدها تنظر كل حين وحين إلى الخارج من خلال المشربية وتتنهد في حسرة وبجوارها صديقتها أنيسة.

أنيسة: إنك يا محبوبة تتعبين سمو الأمير والدك برفضك كل من تقدم إلى طلب يدك،لأنك تحبين مشتاق. ولكن مشتاق لم يرك وأنت محجوبة وراء هذه المشربية، وقد رأيت أنه قد رحل.

محبوبة: حقاً إنه لم يرني وقد سافر خارج البلاد.. ولكني على يقين من أنه سيعود وسنتلاقى مهما طال الزمان..

أنيسة: ربنا يسمع كلامك ويحقق أحلامك..

«لا تؤاخذيني يا محبوبة»

(تخرج أنيسة وترافقها محبوبة إلى الباب)

يقفل الستار ويفتح مباشرة.

(محبوبة جالسة على الأريكة تحت المشربية وهي تعزف **انشودة الوردة)**

أنشودة الوردة:

يا رب زيل الغمامة اللي فوق راسي وراسنا

حاجبة الشمس عنا ومش قادرة افتح

واوهب جمالي للعشاق

وارسل عبيري في الهواء

خايفة النحلة الراقدة وطال انتظارها

خايفة تموت قبل ما افتح

وبعدين اعطي رحيقي لمين..

ومين يوصل رسالة الحب

للوردة المربوطة في جذورها

بالطرف الآخر من الحديقة

وطال انتظارها

يا رب زيل الغمامة اللي فوق راسي وراسنا.

في هذه اللحظة يُرى من خلال المشربية «مشتاق» عائداً من السفر ويقف أمام المشربية يستمع إلى اللحن فيعرف أنه قد وجد محبوبته التي يبحث عنها .. فينادي: «محبوبة» بالرغم من أنه لا يعرف أن هذا هو اسمها وترد عليه محبوبة: «مشتاق.. تفضل».

(يدخل مشتاق برفقة أحد خدام القصر)

محبوبة: كيف عرفت اسمي

مشتاق: أنا لم أكن أعرف أن اسمك محبوبة.. فجاء اسم على مسمى إنني كنت أبحث عنك في كل مكان.

محبوبة: وأنا أنتظرتك على مدى الزمان.

مشتاق: لم أكن أدري أنك قريبة مني لقد حالت بيننا هذه المشربية.

محبوبة: إن جمال هذه المشربية هو الذي اجتذبك فجمع بيننا.

مشتاق: إنها الأنشودة هي التي رفعت من بيننا الحجاب.

محبوبة: اخبرني عن ترحالك إلى الغرب البعيد.

مشتاق: البلاد خضراء ولكن البرد يشتد وتكثر الأمطار والناس تعمل ليلاً ونهاراً جرياً وراء المال.. لم أجد ما كنت أبحث عنه في تلك البلاد.. إنهم تجذبهم الرغبة في الانتقال إلى دفء بلادنا. فكان الكثير منهم يجهدون، في جمع المعلومات عما يدور في بلادنا. وأحد منهم كان يورقني في نياته إذ أخذ يسألني وهو يحتسي الشراب عن كل صغيرة وكبيرة..كنت أرى الجشع في عينيه عندما كنت أتحدث عما لدينا من

كنوز. ليتني ما أطلقت لساني مع هذا الرجل، إن شكله لم يعجبني كباقي القوم عندهم.

محبوبة: وإيه اللي خلاك تشك فيه.

مشتاق: لقد كان يدون في كتاب كبير أمامه برموز غير مفهومة كلما تحدثت عن الجواهر والذهب والفضة واللالىء والحرائر والنفائس. لن أدهش أن ألقاه يوماً في أحد شوارعنا ومعه كتابه الكبير.

محبوبة: إنك واسع الخيال. اتخشى إن حضر هذا الرجل إلى مصر أن يدخلك الكتاب ويحفظك ما في هذا الكتاب؟

مشتاق: لو يريد تحفيظنا كتابه لما خجلت من الرجوع إلى الكتاب.. إني أخشى أن تكون رموز كتابه سحراً يقصد بنا سوءاً.

مشتاق: أنظري تلك هي الشمس تنكشف عنها ظلل الغمام ـ الوردة تتفتح وذي النحلة تنهل من رحيقها المختوم ـ سبحان مبدع الكون ـ انظري وها هي ذي النحلة تتلقى رسالة الحب وتحملها إلى الوردة المنتظرة التي يشوقها ري الحب في الطرف الآخر من الحديقة.

محبوبة: وها هي الوردة تجزل لها من رحيقها بدورها هي الأخرى.

مشتاق: اتصلت الحياة وتمت الحلقة. يأخذها بين ذراعيه.

ينتهي الشاعر من قصته فيشكره خالد وهيلين.

خالد: انها لقصة رائعة حقاً وكأن ما قاله مشتاق عن الرجل الغربي صاحب الكتاب الكبير كان تنبؤاً بما حدث بعد ذلك من استعمار البلاد.

بارك الله فيك يا شيخ الشعراء وفي الحاج ابراهيم الذي هيأ لنا الفرصة للقاءكم والاستماع الى قصتكم الشيقّة وموسيقاكم الجميلة.

الشاعر: شكراً يا بك، شكراً

الفصل الثالث



الاشخاص:

خالد

رفيعه

هيلين

رمزي: وهو حنفي خادم الحاج وهو خادم ملك الزمان.

مدعووّن ومدعوات: طيبة هانم، ماسح أفندي، فلاح بك، معمار بك، محقلطه هانم.

موسيقيون

خادمان: عبدون ودهب

عمال

الحاج ابراهيم: وهو ملك الزمان

المعلم اسماعيل

يرى النظارة قاعة الاستقبال من المنزل الذي بناه خالد على الطراز العربي الحديث. يظهر منها الدرقاعة وتعلوها قبة بها شبابيك من الجص والزجاج الملون والايوان المواجه للنظارة على شكل قبة، وايوان جانبي فوقه شرفة. الجدران بسيطة، وبالقاعة مشربيات مختلفة الأوضاع بين مرتفع ومنخفض ذات الخرط الواسع والخرط الضيق والمشربية ذات القصة تتصدر الايوان الرئيسي، صفت بجوار جدرانه ارائك مغطاة بالحرائر المزركشة البلدية وفرشت أرضه بالسجاجيد الايرانية.

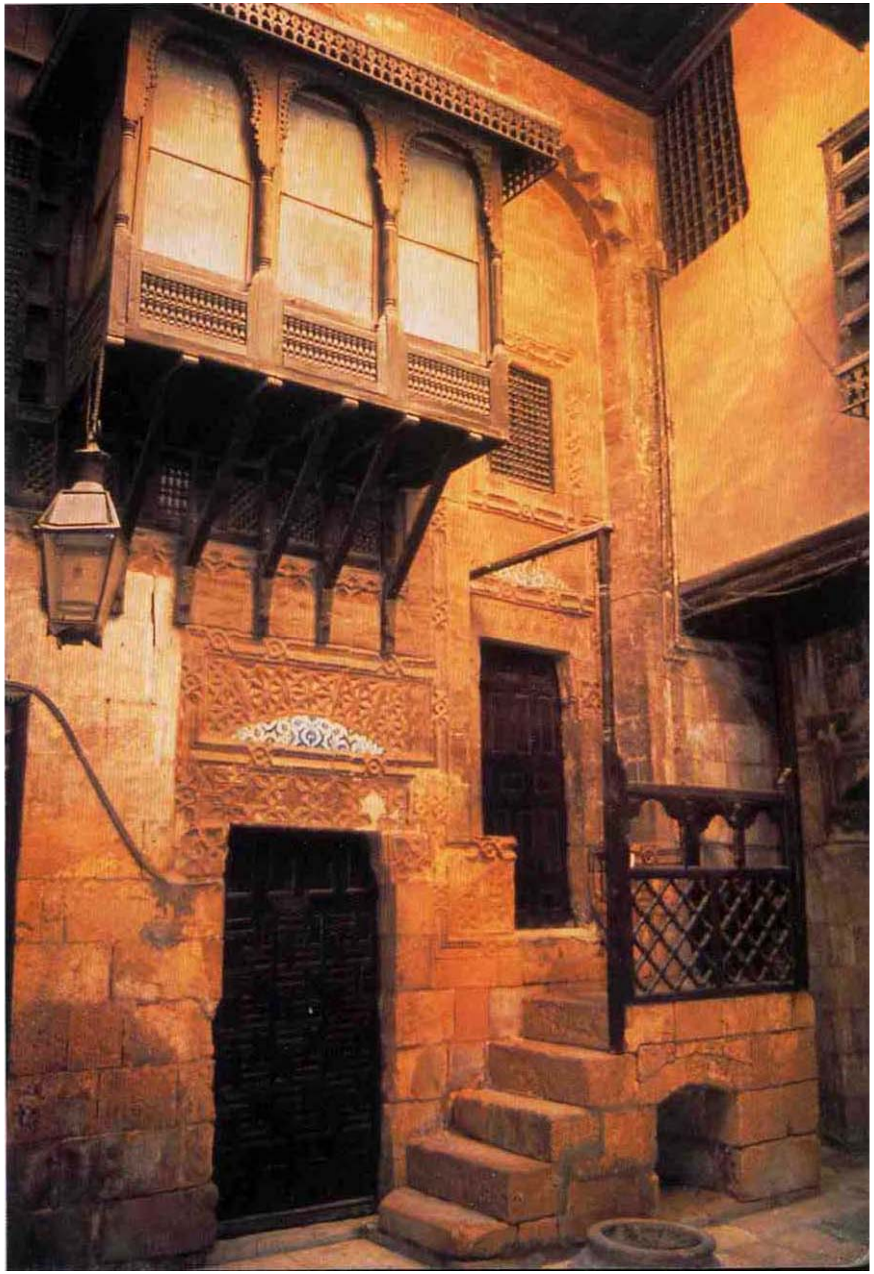
الدرقاعة رصفت أرضها بالرخام وفي وسطها فسقية مزخرفة بأشكال هندسية بديعة، وعلق من سقف القاعة نجف أضيئت فيها الشموع.

كل أثاث القاعة شرقي، ومبني في الحائط بخلاف بعض طاولات وكراسي صغيرة.

الوقت الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر استعدادا لحفلة شاي بمناسبة افتتاح الدار.

يرفع الستار عن خادمين منهمكين في انجاز آخر الترتيبات.

دهب: (ممسكا بمكنسة كهربائية ينظف بها المشربية يديرها ويوقفها في سرور الاطفال).



يا سلام دي حاجة كويسة خالص

دوس الزرار وهي تعمل الباقي.

عبدون: (واقفا في تفكير وحيرة أمام أحد المقاعد):

تعال يا دهب أظن المفرش دا مقلوب

(يرفع غطاء المقعد)

دهب: (يترك المكنسة الكهربائية متضايقاً لمقاطعة لهوه بها).

ايه ده يا عبدون. دهب... دهب. ما تقدرش تعمل حاجة من غير دهب؟

عبدون: ده ظهره.. لايمكن احنا غلطانين.

(يعدلانه ثانيا)

دهب: لا.. لا ده باين عليه الظهر أنه مقلوب.

عبدون: (في حيرة ممسكاً بذقنه عابثاً) افتكر برضه زي ما بتقول. اعدل معاي (يقلبانه)

دهب: الوش الثاني بيلمع أكثر لازم يكون هو الوش.

عبدون: صحيح طيب.. تعال نقلبه.

(يقلبانه بسرعة وسرعان ما يتحيران) اقول لك الحق انا عقلى اتلخبط خلاص.. الواحد مش عارف فين الوش وفين الظهر.. أحسن شيء نرجعه زي ما كان.. (يقلبانه ويتركانه).

(يرجع دهب الى مكنسته الكهربائية. يدخل خالد يلقي نظره على القاعة ويقف أمام المقعد).

خالد: يا عبدون هذا الغطاء مقلوب تعال يا ذهب أنت وعبدون اعدلاه.

(يترك دهب المكنسة في رضوخ ومضايقة).

ذهب: والله يا بيك احنا افتكرنا برضه كده من الأول لكن نعمل إيه.. في البيوت اللي كنا بنشتغل فيها كل ما نحط حاجة بالعدل زي ما بنعرف كانوا يقولوا علينا «بربري» «عبيط».. علشان كده الواحد يدور فين الوش ويحط على الناحية الثانية علشان يضمن انه مضبوط.

خالد: (يضحك) مسكين يا دهب القماش هذا بلدي وهو نفس قماش قفطانك.. وانت اعرف به مني.. اسمع يا دهب، كل ما تراه في بيتي هذا بلدي أيضا.. ولا يحتاج الامر الى تفكير مرتين. من الآن ضع الجانب الذي تراه الصحيح ولا تتردد.. الوقت ازف اسرعا هيا.

(يخرج خالد بعد ان يضع الوسائد بشكل متماثل منتظم وكذلك الطاولات)

عبدون: الحمد الله البيك رجل طيب.. لو كانت الست اللي كنت أشتغل عندها كنّا سمعنا كلام كتير وما كناش خلصنا..

دهب: والبيت خفيف العدل فيه عدل والمقلوب مقلوب.. هنا الواحد يقدر يطمئن على عقله.. (يذهب الى مكنسته الكهربائية) إنها تشفط التراب من بعيد (يقربها ويبعدها عن المشربية ليجرب مقدار شفطها للتراب).

عبدون: ودي إيه يعني تشفط التراب من قريب ولا من بعيد.. إذا كان جدع كان يشوف ماكينة تورينا وش القماش.

(يسمع صوت جرس الباب).

أنظر من بالباب يا دهب.

دهب: (في مضايقة ظاهرة) صحيح مافيش في الدنيا دي راحة ابدا. (يترك المكنسة ويهرول الى الباب ليفتحه) تفضلوا سأخطر البيك.. نقل له حضرتك مين؟

(يدخل الموسيقيون)

رئيس الجوقة: قل له الموسيقيون. التخت.

دهب: تفضلوا استريحوا (يجلسهم على الكراسي ويخرج لاستدعاء خالد.)

خالد: (يدخل) أهلا بكم (يقف الموسيقيون لتحيته): تفضلوا

رئيس الجوقة: خالد بيك؟

خالد: اجل شرفتمونا

الموسيقيون: شكرا.

خالد: (لرئيس الجوقة) أنا سعيد جدا وأرجو أن تكون الحفلة ناجحة بمجهودكم أريد موسيقى شرقية لأن أصدقائي المدعوين مهذبون. ويجمل أن لا تخرج الموسيقى عن ملائمة جو هذا المكان على أن تكون ذات تقسيم حديث يرضي ثقافتهم وعواطفهم.

رئيس الجوقة: أرجو أن نكون عند حسن ظنك بنا (يتهامس الموسيقيون وهم يتناولون آلاتهم ويحرك بعضهم اذن المزهر - والقانون وينفخ عازف الناي الخشبية.. توضع حوامل النوتة ويبدأون

في عزف القطعة الأولى المختارة. (عبدون يعود الى مكنسته الكهربائية).

خالد: اترك المكنسة الآن يا عبدون

(يجلس منتظراً العزف في انتباه) انا مشتاق لسماع الموسيقى الشرقية في مكانها الحقيقي.

(يعزف الموسيقيون سماعي طنبوري جميل بيك شت عريان على طريقة مستحدثة. وبدون تمهيد خالط اللحن الشرقي نشاز اجنبي سلم كروماتيكي، توقعه الآلات في عنف).

خالد: (يقفز في فزع) يضبط عواطفه ويتقدم الى رئيس الجوقة مبتسماً ويقف العزف لا تؤاخذني، أنا معجب بالمقاطع الشرقية لكن المقطع الأخير يخيل الي أن مؤلفه أخذه عن بنت الجيران الصغيرة حين تمرنها على البيان.. من هو مؤلف هذه القطعة؟

رئيس الجوقة: هي قطعة قديمة جددها الاستاذ الموسيقار المجدد الشهير «ذهب عبدون» يا بيك: تلك هي الموسيقى السائرة الآن والتي تروق الناس. (يدخل دهب وعبدون الذين كانا ينصتان الى الموسيقى اذ يحسبان أنهما دعيا).

خالد: لم نطلبكما يادهب أنت وعابدون. يمكنكما أن تنصرفا (ملتفتاً إلى رئيس الجوقة): هذا معيب ولو حاز استحسان أغلب الناس.

«إن السلم الكروماتيكي أنغامه هي ألف باء، والموسيقى كالشعر لا يليق بالشاعر أن يترك أنغامه الساحرة الى إلقاء حروف الهجاء. (يعود الموسيقيون للعزف الى ان يصلوا الى مقطع على نمط الفالس يوقفهم خالد).

خالد: يؤلمني إن كل من يحاول تجديد موسيقانا الشرقية يعكف على أحط ما في الموسيقى الغربية.. كأنغام الرقص وما إليه.. وكأنهم يدخلون الموسيقى الغربية على الشرقية من باب الخدم.. فتضمن اضحوكة للغير بلا مناسبة.

رئيس الجوقة: يعلم الله كم نكره هذا الخلط الذي يضطرنا إليه مجاراة الجمهور فيما يطلبه وأننا لسعداء أن نبذل ما في وسعنا حسب ما يقتضيه الفن الصحيح لمن يفهمون مثلكم. (يعزف الموسيقيون).

خالد: (خالد جالساً في انصات إلى أن تنتهي القطعة)

انها لقطعة جميلة حقا. لقد ارتفع قدرها بتنقيتها إيما ارتفاع. أشكركم جميعا تفضلوا خذوا مكانكم بالشرفة وعند اكتمال المدعوين سأشير إليكم بالبدء في العزف (يقوم الموسيقيون الى الشرفة من باب جانبي). (يعود دهب الى مكنسته الكهربائية، ويسمع صوت جرس الباب).

(يفتح عبدون وتدخل رفيعة وبيدها باقة أزهار كبيرة.. تبدي اعجابا في دهش من احساسها بجمال المجموعة وتناسقها أثناء تنقلها في القاعة يقف عبدون عن التنظيف ويخرج).

يحتضنها خالد ويقول:

«رفيعة.. إنّ حبي لك في هذا المكان أصبح حقيقة لو كان منزلنا هذا شقة افرنجية الطراز لخيل إلي أننا نمثل ولا نعيش حبنا.

رفيعة: كثيراً لا أفهم ما تقول يا خالد، ولكني أحس بأن ما تقول صحيح، لذلك أحبك ولكني في نفس الوقت اتهيبك.

خالد: لسنا عائشين أنفسنا يا رفيعة لذلك نفكر دائما مرتين، مرة بالقلب ومرة وبالعقل. والاثنين مش فاهمين بعض. في هذا المكان لا داعي للتفكير مرتين لأن كل شيء فيه بتاعنا وجزء منا فيمكن ان نتنفس براحة وننبسط في الحب وفي الاكل والشرب.

رفيعة: رجعت للالغاز يا خالد. إني أحس بمعظم ما تقول لكن لسه مش متعودة على الكلام ده.

خالد: لا تفكري. إننا في حالة عارضة والرجوع للأصل غير سهل.

رفيعة: كل شيء جميل. غير أنه يبعث في جو الحجرة رهبة (تضع الازهار في الاواني.. تنظم الوسائد على الأرائك بشكل لطيف... تغير نظام الطاولات المتماثل) ست البيت ليس لها عمل كثير في مثل هذه القاعة (تشير الى الاثاث) كنت أود وضع هذا المقعد في الركن المقابل من الحجرة ولكن كل شيء مثبت ولا يترك مجالا لإظهار شخصيتي.

خالد: ماذا تقولين؟ ألا ترين كيف أضفت أزهارك جمالا على الحجرة وشاعت فيها البهجة بتنسيق الوسائد واختيار أوضاع المناضد، لقد أعطى صنيعك للحجرة طابعاً بيناً خالصًا.. بفضل ما حباكم الله من موهبة نسوية.. تأملي كيف غابت الرهبة من لمساتك السحرية.. إن الحياة بدأت تدب في البيت.. لمساتك نفخت فيه الروح.

رفيعة: أخجلتني.. هذا كثير.. عالمك الشاعري الذي تخاطبني به دائما يا خالد يربكني.. سلوكك الجاد يجعلني اتهيب التبسط.

خالد: سترين وقد تحققت أحلامي، إني مرح فوق ما تنتظرين، رفيعة... عندي لك هدية... (يفتح دولاب في الحائط ويخرج صندوق من الورق يقدمه إليها).

رفيعة: (تفتح الصندوق) حلة (فستان) سهرة... (تفرده) أو... عباءة.. (تبدو مازحة) دائماً مختلف عن باقي الناس، انها لمفاجأة طريفة.

خالد: (يتقدم خالد ويساعدها في الباسها العباءة ويرجع الى الوراء يتمعن في هندامها بعد لبسها)، أنت في العباءة أجمل منك في الفستان، ألف مرة.. إليك المرآة.. تأملي لقد استقام لونها مع لون شعرك.

رفيعة: (تنظر في مرآة يظهر خلفه الدولاب تضحك في دلع) إنك غير قابل للاصلاح لا تريد إلا أن تكون هارون الرشيد لتدخلني في الحريم (ضحك) لن أمكنك من ذلك.

خالد: ما أنا وذاك. أريد أن نكمل الانسجام ولو في هذه المناسبة السعيدة نبدد كل نشاز. إن الملابس الغربية تجعلنا غرباء في بيوتنا.

رفيعة: (ناظرة الى الفضاء) لست أرى أين سنضع طقم الصالون لويس كانز المذهب في هذه القاعة.

خالد: إذا كنا اكتفينا بدون طقم لويس كانز فلماذا نشغل بالنا به، أليس لدينا مقاعد كافية (مشيراً إلى أثاث الحجرة).

رفيعة: لكن الحجرة تبدو وكأنها خالية من الأثاث.

خالد: أحَبُّ الأثاث عندي هو الذي لا يأخذ الأهمية فيقضي على شخصية صاحبه، اينما توجه تعثر فيه وشاركه في تبجح واحتل المنزل معه.

رفيعة: ترى ماذا يقول أقاربي وأصدقائي عند زيارتنا، ليس لدينا أثاث.

خالد: سوف لا يقولون شيئا من ذلك، ألا ترين أن هذه الأثاثات أكثر راحة وانسجاماً مع سحناتنا وأشكالنا، لا نبدو بينها غرباء وخاصة التي على طراز «اللويسات» وإن تلك السجاجيد والأقمشة الايرانية والسورية لهي أغلى بكثير من ذلك الأثاث العريق.

رفيعة: ليس في مقدور كل انسان أن يفكر كما تقول أو أن يجعلوا أساس حكمهم الجمال.. هناك اعتبارات لا يمكن اغفالها بالنسبة إليهم.

خالد: (يبتسم)

رفيعة: ماذا يضحكك؟

خالد: كنت أفكر في صالون منزلنا القديم، كان على طراز لويس الخامس عشر. وبجانب كراسيه ومقاعده الفرنسية المكسوة «الاوبيسون»، رصة من الشلت (المخدات) للست الحاجة فلانة وام فلان بملاءاتهم اللف، فتملكني الضحك لغرابة المقارنة التي لم تخطر لي على بال من قبل.

(يدخل المعمار ومعه طيبة هانم).

رفيعة: أهلاً وسهلاً طيبة هانم (يقبلان بعضهما).

خالد: أهلاً أهلاً شرفتونا، إني سعيد حقاً إن حضرتم (مسلماً على طيبة هانم).

رفيعة: (تسلم على معمار بك) أهلاً معمار بك (في ضحك) لقد عملتها فينا، لست أدري هل أهنئك على المنزل الجميل أم أعاتبك على تآمرك مع خالد علي.. أفهم الآن لماذا أبقيتم الأمر سراً بينكما.

معمار بك: معاذ الله أن تكون هناك مؤامرة.. رغبة خالد بيك كانت أن يجعلها لك مفاجأة سارة.. جعلها الله مبدأ حياة سعيدة.

رفيعة: إنها مفاجآت عديدة وليست واحدة فعلى الأقل كنتم تعطوها لي واحدة بواحدة.. المنزل جميل حقا، لكن كل شيء استجد عليّ دفعة واحدة.

خالد: (مسلماً على معمار بيك) لست أدري كم أشكرك، وأشكر الظروف التي هيأت لنا اللقاء.. أشعر وكأني في حلم جميل يغمرني بالسعادة.

طيبة هانم: ربنا يجعله مبروك عليكم.. وتعيشوا بالهناء والسرور. ربنا يتمم بخير، وتحيي فيه ليالي الأفراح حتى تتم سعادتنا جميعاً.

رفيعة: بارك الله فيك، شكراً يا عزيزتي. (يدخل ماسح أفندي ومحفلطه هانم) تعارف. (يدخل في أثرهما رمزي ومعه فلاح بيك)

رفيعة: هالو رمزي

رمزي: هالو رفيعة (يقبل يدها على الطريقة الاوروبية).

رفيعة: أهلاً وسهلاً (تمد يدها إليه مسلمة).

فلاح بك: (يقبل يدها مقلداً رمزي ساذجاً).

رفيعة: (تسحب يدها بلطف) تعال أقدمك لاصدقائنا.. إننا مسرورين بوجودكم معنا، ونشكر رمزي بك على اصطحابك إلينا.. (تقدمه الى طيبة هانم).

فلاح بك : (مقبلاً يدها بنفس الطريقة).

طيبة هانم: (تسحب يدها): استغفر الله.

رفيعه: (تقدمه الى محفلطة هانم): فلاح بك.. محفلطة هانم.

فلاح بك: (يقبل يدها) تشرفنا.

محفلطة هانم: (تترك يدها ليقلبها)

(تضحك في استخفاف): إنه يقبل يدي كما لو كنت عمته (يضحك الجميع).

فلاح بك: (في خجل مع بساطة) حيرتونا، ربنا ما يحير مؤمن. ده يسلم بالراس وده بالعين وده يهز اليد والثاني يبوسها. سيبوني بقى أسلم بالطريقة اللي أحبها (ضحك).

محفلطة هانم: (لإطالة المزاح) والله ما تزعل، أنا بالعكس مسرورة جدا، ولكي أبرهن لك على ذلك خذ أيدي الثانية بوسها.. لكن مثل الأولى تماماً حتى لا تغير منها.

فلاح بك: يأخذ يدها اليسرى ويطيل تقبيلها.

(ضحك من الجميع).

محفلطة هانم: دمه خفيف.

رمزي بك: بدأت أغير منك يا فلاح بك، أترك شوية للمرة الآتية:

ـ (الى خالد) لم لم تخبرونا إنها حفلة تنكرية يا خالد؟

خالد: نعم لقد أصبحت ملابسنا الأصلية تنكرية.. كلامك ذكرني

بالطفل الذي رأى بحاراً في الطريق فصاح بأمه في دهش. أماه أنظري رجلاً في ملابس أطفال.

(ضحك)

تعال معي سأعطيك ملابس تنكرية لك وللجميع (يخرج عباءات لتنتقي منها الضيوف ما يوافقهم من خزانة في الحائط.. (اعجاب من البعض وضحك من الآخرين). (يدخلون في حجرة جانبية لخلع ستراتهم ووضع العباءات. يخرجون وقد انصلح ما أبدته ملابسهم الغريبة من عيوب.

رمزي: (يخرج وهو يقوم بحركات استخفاف بالتحيات الشرقية رافعاً يديه الى صدره والى رأسه) تنقصني العمامة.. لست أدري كيف يمكن المرء أن يركب دراجة بهذه الملابس الفضفاضة.

خالد: لا داعي لركوب الدراجات داخل المنزل، الغربيون أنفسهم لهم زي جعلوه خاصاً للمساء للتخلص من لباس العمل الذي يذكرهم بمشاق النهار.. فلم لا يكون لنا زي خاص بالداخل نرتاح اليه، بدلا من تلك الملابس الضيقة المتعبة للبدن. (وتدخل هيلين) تحية وتعارف.

هيلين: أهنئك يا خالد.. لأول مرة أشعر إنني في الشرق، في الشرق صحيح، فكرة جميلة لبسكم الشرقي.. انسجام بديع.. أكرر تهاني لك يا خالد، إنه لجو ساحر. لقد أحضرت لك معي هدية صغيرة كنت أظن أنها ستسرك ولكن الآن لا أدري إن كانت تليق بهذا الجو.

خالد: (في تواضع) الفضل لرفيعة.. إنها أضفت بذوقها ما ترين من تنسيق.

رمزي: (لخالد) أتلبس هيلين عباءة مثلنا؟

هيلين: (مسرعة في مزاح) أتظنني غير أهل للبس العباءة؟

خالد: عباءتك حاضرة ولو لم أحضرها لما اغتفرت لنفسي هذا الاهمال.

هيلين: كم هي جميلة، شكراً خالد.

(تدخل لتلبس العباءة وتخرج من الحجرة الجانبية).

رمزي: إني أحسد «الأمير» خالد، عدد الحريم عنده في ازدياد واي حريم (يضحك الجميع).

هيلين: ألا يمكن أن تكون جاداً لحظة واحدة يا رمزي.

رمزي: لا أخالك تريدين أن تقولي إنك تأخذين كل هذا (مشيرا حواليه وممسكا بعباءته) على أنه جد؟ قد يكون الأمر شيقاً ولكن أين نحن من تلك الأشكال التي تركناها من زمن بعيد.. إنها لم تعد تتفق مع الحياة، العالم يريد التجديد.. لا الرجوع إلى الوراء.

خالد: لا تتعجل يا رمزي. إنك متأثر بالأقوال السائرة التي تتهم كل ما هو شرقي بالتأخر والرجعية وكل ما هو أجنبي بالتمدن والتقدم. كنت أحسبك ستقول إننا نسبق الزمان لا إننا نرجع إلى الوراء (مشيراً). فتحات الضوء مدروسة لراحة العين. هواء مكيف بطريقة عملية بسيطة (يرفع مرتبة عن المقعد الذي هو جالس عليه) مقاعد نظيفة مغطاة بالقاشاني ليمكن غسله بالماء والصابون.. كل ذلك في ثوب مجمل لطيف، وكأننا جمعنا في مكان واحد تراث الأقدمين وآخر منتجات العقل الحديث لراحة النفس وراحة الجسم.

رمزي: (في سخرية) وهذه المشربية (مشيراً إلى المشربية الكبيرة) التي تلم التراب، هل يمكن غسيلها بالماء والصابون؟

خالد: التراب الذي يعلق بهذه المشربية كان مقدراً له أن يذهب إلى رئتيك.. المشربية للمنزل مثل اللون في جلدنا يردّ عنّا وهج الشمس والإشعاعات الزائدة عن حاجتنا.

رمزي: إن هذه مسائل فنية، وعلى فرض أن سلمنا بمزاياها. ألا ترون إنكم بهذا الاتجاه تنزعون إلى عزلتنا عن باقي العالم المتمدن الذي تسوده الآن روح الإندماج والتوحيد..؟ كيف ننسى الطائرة.. السيارة.. الراديو.. وغيرها من وسائل التقريب، وإزالة الفوارق ونتعلق بمشربية بالية.

خالد: لست أدعو بالعزلة.. هذا الإعتراض ناتج من تلك الأقوال السائرة أيضاً، والتي نكررها بدون تمحيص مع ما فيها من قلب للحقائق والأوضاع... الإندماج قبل النضوج تسرع وابتسار.. العالمية والتوحيد يأتيان بالإندماج في قوانين الخلق والعالم التي أوحت بتباين الإنسان والحيوان والنبات حتى الجماد.. كل حسب بيئته ونشأته ـ لما فيها من حياة تتأثر بتلك البيئة.. فتطورت بقدر إحساسها بها.. لا أن نطلب إلى الإنجليزي أن يصبح أسود اللون، أو إلى السودانية أن تصبح شقراء في بلاد السودان

ماسح أفندي: لا أظن أن هناك سودانية لا تود أن تصبح شقراء.

معمار بك: هذا يحتاج إلى تحقيق.. لا سواد السودانية حطة.. ولا شقرة الأوروبي ميزة.. السمرة والسواد ما هي إلا ستار ملون كالذي تضعه على عدسة آلة التصوير حين يكون الضوء شديداً.. زي

المشربية التي نعترض عليها. أما الإندماج بتوحيد الأشكال فلا يصح إلا للآلات، أنظر إلى السيارة مثلا.. تجدها في بلاد الإنجليز هي نفسها في بلاد السودان بلا فارق سوى رقم قلم المرور دون أن ترى في ذلك غرابة لأنها بلا حياة عديمة الإحساس لا قلب لها ولا روح.

رمزي: كيف تكون الطائرة بلا حياة وهي تسبق طيور الأرض أجمع بينما هذه المشربية ثابتة في مكانها بما فيها من تكرار النقوش؟

معمار بك: إنه إنبهارنا من إبتكارنا لمخلوقنا الميكانيكي ودهشتنا بتلك الدمى التي تتحرك في تكرار مميت هو الذي جعل البعض منا يحاول أن يخضع نظام تطور الإنسان لنظام الآلات التي ليس لها روح ولا قلب ولو تحركت إلى آخر الزمان.

خالد: إنْ أَوصل تكرار حركة الآلة إلى تحليقها في الجو، فإن ترْديد نقش المشربية هذه لرغباتنا الروحية يوصلها الى التحليق في السماء.. سحر نقشها... خفة روح السمرة المصرية فينا.. ما رأيك يا رفيعة؟

رفيعة: لا تصدق يا رمزي.. لقد رأيت الخدم حين قدومي ينظفون خفة روح سمرة المصريين هذه بمكنسة كهربائية.. لا أخال تحمسه لهذه المشربية إلا وسيلة لحبس المرأة وراءها وإدخالها في الحريم.

خالد: أما وقد وجدت المكنسة الكهربائية فأحرى بنا أن نسخرها في خدمة المشربية، إذ ما هي إلاّ آلة. أما عن حبس المرأة وإدخالها في الحريم فانت تعرفين كم هذا بعيد عن تفكيري يا رفيعة.

محفلطة هانم: ما هذا النقاش العميق وكأننا في أكاديمية علوم.

رفيعة: الحق معك دعونا نقفل هذا الباب...

(تطلب الشاي) عبدون ، دهب، الشاي..

(يدخل الخدم بالشاي وأطباق الشطائر والكعك).

طيبة هانم كم قطعة سكر؟

طيبة: قطعتين... وقليل من اللبن... (تخديم.. الخ)

رفيعة: (إلى خالد وهي تخدم على الضيوف)

أين تلك المفاجأة التي وعدتني بها يا خالد، أرجو أن لا تكون عباءة ثانية (ضحك)

خالد: أن تنسى لن أنسى.. أصغوا يا حضرات السادة هاكم المفاجأة.. (يعطي إشارة للموسيقيين في الشرفة) (تبدأ الموسيقى بالعزف.... صمت من الجميع بعض الوقت ثم يبدأون في تبادل الملاحظات.. يزداد اللغط مصحوباً بأصوات الملاعق وأقداح الشاي)

خالد: (يشير بيديه للموسيقيين فيكفون عن العزف).

هيلين: لم وقفت الموسيقى؟

رمزي: هذه الموسيقى ستؤدي بنا إلى النوم كلها تكرار كذلك النقش على المشربيات... لا مؤاخذة يا خالد.

رفيعة: دعونا من هذا الجو الرهيب.. نريد مرحا.

رمزي: (يقوم ويحضر إسطوانة رقص من مجموعة احضرها معه، ويضعها على حاكي في الحجرة)

رفيعة: جاز (Twist, Jazz) تويست) إنك مغر كبير يا رمزي.

رمزي: (يتوجه إلى رفيعة) هل يمكن أن يتحقق المغزى من كلامك بأن أحظى بهذه الرقصة؟

رفيعة: (إلى الجميع)

هيا فلنحتفل بتدفئة بيت خالد الجديد بالمرح

(تقوم وتراقص رمزي)

(ماسح أفندي يراقص طيبة هانم بينما يستمر الآخرون جلوساً).

محفلطة هانم: (إلى فلاح بك) ألا تطلبني إلى الرقص؟

فلاح بك: ليتني أعرف

محفلطة هانم: إن الرقص هذا سهل.. تعال وأنا أعلمك... (يقوم مسروراً ويخاصرها يرقص بشكل مضحك).

رفيعة: (إلى خالد) ألا تراقص هيلين (تهز أردافها مع رمزي بشكل مزري)

خالد: (عابساً) إرحمني يا رب لم أعد أحتمل

هيلين: دعهم يمرحون

خالد: هذا فوق ما أطيق فليكن ما يكون.

(يتوجه إلى الحاكي ويرفع الإسطوانة ثم يقف في ألم خافضاً بصره إلى الأرض)

ماسح افندي: (يصفق بيديه) أعد... أعد

(تقابل نكتته بالصمت.. وجوم من الحاضرين وقلق لا يعرفون كيف يتصرفون)

رفيعة: (إلى المدعوين) يظهر أن خالد منهوك الأعصاب فلنتركه يستريح ونخرج قليلاً إلى الهواء الطلق.

رمزي: (إلى ماسح افندي) هذا كثير.. إنه لشذوذ غير محتمل(يأخذ الجميع في ترك عباءاتهم ويرتدون ملابسهم العادية ويأخذون في الإنصراف ويبقى رفيعة وهيلين وخالد).

رفيعة: لم أفهم هذا التصرف منك يا خالد، لقد وضعتني في موقف سخيف أمام أصدقائي.. (تخلع عباءتها وتلقي بها وتهم بالذهاب مع الآخرين)

خالد: (يفيق من وجومه ويلتفت إلى رفيعة في توسل) رفيعة... رجائي أن لا تذهبي مع الآخرين.. إن للأمر تأويل خطير عندي.

رفيعة: (في إنفعال) أتهين أصحابي وتطلب مني أن أتركهم يذهبون كالمطرودين.. ماذا تظن

خالد: إن الامر فوق كل هذه الإعتبارات. أريد أن أتفاهم معك.

رفيعة: أي تفاهم تطلب بعد الذي جرى.. لقد احتملت شذوذك كثيراً لكن ما حصل أخيراً فاق الحدود.. إنها رجعية همجية.. إنك لا تصلح للمجتمع ولا يمكن أن أطيق أكثر من ذلك.

خالد: رفيعة.. رفيعة.. أرجوك.

رفيعة: إنك غيور من رمزي وتخفي ذلك في عينيك.. تلجأ إلى كل تلك المغالطات من مشربيات وتقاليد بدلاً من أن ترى نفسك على حقيقتها.

خالد: رفيعة.. أنت لا تدرين ما تقولين... أرجوك بالله.

رفيعة: إني أدري كل كلمة أقولها.. وإني لمسرورة بمعرفتي إياك على حقيقتك قبل فوات الآوان.

خالد: (يتقدم ويأخذ بذراعها في رجاء) رفيعة.. ما كل هذا.

رفيعة: (تتخلص من قبضته في هياج) أتركني. إنك وحش.. لا تنتظر مني أن أطأ بقدمي هذا المكان بعد الآن.

هيلين: (تسرع إلى رفيعة) رفيعة إهدئي بالله عليك.. الأمر لا يحتاج إلى أن تصل الحالة إلى ذلك الحد.

رفيعة: إبعدي عني أنت الأخرى.. ماذا تريدين مني.. إنه لك الآن كله هنيئاً لكما (هه ، هه) (في تهكم وتخرج مهتاجه بعد أن تلقي خاتم الخطوبة في وجهه)

(خالد واقف في مكانه لا يتحرك في ألم كبير، وهيلين تأخذ مقعداً ورأسها بين يديها... بعد مدة من الزمن يتحرك خالد نحو المشربية ينظر إلى الخارج من ثناياها وتظهر رفيعة مع رمزي من الخلف مبتعدين عن المنزل) بعد قليل يستمر إستغراق خالد فتدعوه هيلين

هيلين: خالد..

خالد: أرجو أن تصفحي عني وعن رفيعة

هيلين: إني جد متألمة لكما بقدر ألمك

خالد: أعرف كم تتألمين.. إني أشقى منك بكثير يا هيلين، إنك تعرفين لم تتألمين، تعرفين نفسك وإحساسك في حين إختلطت عليّ الأمور فلم أسبر حقيقة ألمي.

إن حال قومي غير مستقرة مما يُلقي علينا نحن الأفراد مما ليس في حدود طاقة الفرد. بحيث أجد الحقيقة فيما وصل إليه حالي من فشل وألم هو النتيجة المحتومة الطبيعية لتلك الحال.

هيلين: كم أود لو كان في مقدوري أن أهب روحك المعذبة سلاماً (تسارع إلى الحاكي) تخرج إسطوانة الجزء الأخير من خماسية برامز للكلارينت.. إنصات للموسيقى في تأمل غارق باد عليهما علائم التأثر

خالد: (يقوم بعد إنتهاء الإسطوانة ويغلق الحاكي في حين أن هيلين ماضية في تأملاتها مرهفة الإحساس بما كان ينبعث في جو الحجرة حتى إنحدرت الدموع على خدها).

(يُقْبل خالد على هيلين يربت على رأسها ويداعب خصل شعرها كأنه يدلل طفلاً وديعاً).

خالد: أجدك أقرب إليّ من أهلي حين نستمع معاً إلى موسيقى براهمس، يجمعنا إحساس هو نفسه الذي كان يلفّنا حين أعجبنا بالمخلفات يوم كنا عند الحاج إبراهيم.. أتذكرين أول مرة وقفنا أمام تلك المشربية؟

هيلين: كنت أشعر أن روحينا تسبحان في آفاق يعجز معظمهم عن إدراكها .

خالد: كم هو محير هذا الأمر عندما ترتفع بنا موسيقى براهمس إلى أجواء السماء أشعر وكأن جسمينا قد زالا فخرجنا عن حدود الزمان وأصبح تلاقينا حقيقة واقعة، لكن حين أنظر الينا ومعى أهلي أشعر وكأن بيننا أجيال.

هيلين: الأجيال في الثقافة لا دخل لها.

خالد: أسطورة الإغريق تقول عن الفون والميرميد عندما تقابلا عند الشاطىء، هذا بمزمار الغاب وتلك بقوقعة البحر. إن تلاقت الأجزاء العلوية منها بالموسيقى فإن الأجزاء السفلى منها حالت دون كمال الإتصال، إذ كيف لهذا ان يعيش في الماء وجسده السفلي من أهل الغاب، ولتلك أن تعيش في الهواء ونصفها السفلي من عالم الأسماك.

هيلين: الثقافة نمو والجزء السفلي هو الجسد القديم.

خالد: أنىّ لنا هذا النمو وذاك الجسد السفلي كبير، وهو يكبر في قبح بلا نظام.

هيلين: كأنك تريد أن تصنع للغير ما لا بد أن يصنعه الغير لنفسه.. لا مفر من أن يقطع كل هؤلاء الذين نهتم بهم نفس الرحلات الطويلة ليجدوا أنفسهم في الأفق الجديد..

خالد: أخشى أن يضلوا الطريق فلا يكون لقاء.

هيلين: هذا القلق سيزول عندما تعيش نموك الجديد ملء نفسك وبذلك تحصل على الهدوء.

خالد: أيمكن أن نحصل على الهدوء والعاصفة قائمة تكتسح أمامها كل ما هو عزيز علينا.

هيلين: تذكر قول الشاعر «طاغور» إلى المفتون الذي يبغي أن يحمل هموم الدنيا على ذراعيه الضعيفتين، أن أرم بنفسك في بحر رحمة الله وإن مياهه لتحملك أنت نفسك.

خالد: دوني وبحر الرحمة خلق وزحام من أجساد أهلي وأحبائي.. لا سبيل للوصول إليه دون أن نطأ أجسادهم بالاقدام.

هيلين: أليس هناك طريق غير طريق الجثث والأجساد.. من الخير والحياة أن تؤثر في نفسك الأجزاء الحية الطامحة على أن ترفق بالأجزاء التي لم تطمح بعد...

خالد: لو أدرت ظهري لأهلي لاحتجب عني بحر الرحمة وكنْت أنت أول من يفتقدني في زمرة تلك الأجساد؟

هيلين: لا تتعجل ـ إنهم كلهم آتون

هيلين: هل نعود إلى براهمس

خالد: هذا حسن ـ أرجوك

(يوضع الجزء الاخير من Finale الخماسي)

هيلين: خالد إنك تعب بعد حوادث هذا النهار. هل إذا طلبت منك شيئا تعدني بتنفيذه؟.

خالد: لك ما تطلبين لم تعد لي قدرة على أي اعتراض.

هيلين: يسؤني أن أتركك على هذه الحال لكنك تعب والوقت متأخر.. عدني أن تذهب إلى فراشك مباشرة إنك في أشد الحاجة للراحة.

خالد: (في ابتسام) لك ما تطلبين

هيلين: (تقبله في جبينه كما لو كان إبناً لها) إلى اللقاء يا خالد.

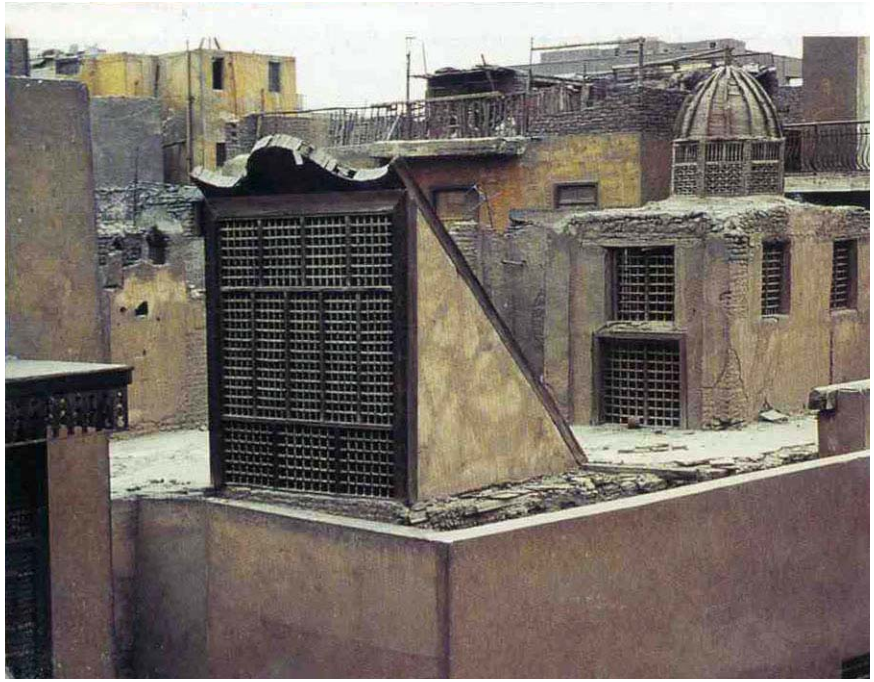
خالد: إلى اللقاء يا هيلين إني عاجز عن شكرك

هيلين: صه.. إلى اللقاء

(يخرج معها ليوصلها إلى الباب ويرجع إلى الحجرة..

يطفىء الأنوار ويرقد على المقعد تحت المشربية بملابسه.. يغلبه النوم).

الفصل الرابع



الحلم

(بينما خالد نائم على المقعد تحت المشربية يرى في منامه الرؤيا الآتية تظهر من خلال ثنايا المشربية).

يظهر الحاج إبراهيم لابساً قميصاً قصيراً تظهر منه جواربه السوداء بحمالاتها ومنتعلا «بلغة» وعلى رأسه قبعة عالية مزركشة برسومات الورق الذي يلصق على الجدران وبأعلاها قرون دهبية وجهه كالدمية لا إحساس فيه.

خالد: السلام عليكم يا حاج إبراهيم.

الحاج: أنت غلطان لست الحاج إبراهيم

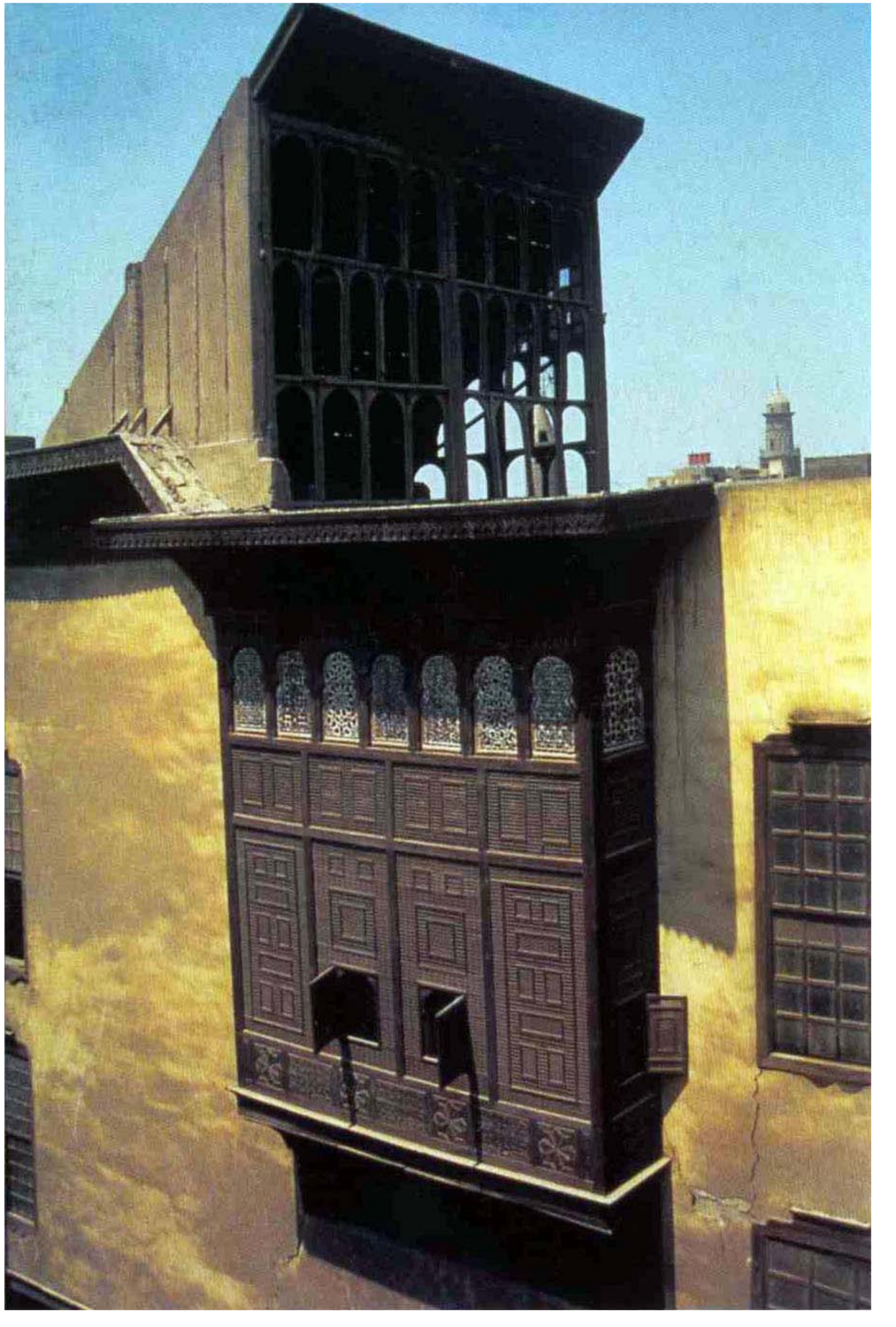
خالد: من تكون إذن

الحاج: أنا ملك الزمان أهدم وأبني القبور وأدهن الجثث بالريبولان

خالد: كيف تدهنها بالريبولان.. إنها من صاج هندي مطعم بالعاج

ملك الزمان: ألا يعجبك الريبولان.. إنتظر إذاً.. تعال يا ولد يا حنفي

(يظهر حنفي شكله كأنه توأم لرمزي لابساً ملابس عمل خادم كما ظهر في الفصل الاول ممسكاً علبة مستديرة كبيرة الحجم رمادية



اللون وعليها نفس النقش الذي على قبعة ملك الزمان فيبدأ يقرأ وهو يديرها بين يديه):

الريبولان العجيب.. ماركة بلا تعب.. تفتح علبتك تبقى في خدمتك تدهن القديم يصبح جديد قبل أن تنشف فرشتك.. يطلى الخشب والصفيح.. والصاج والعاج.. لا يزيله الماء والصابون.. شغل باريس..

خالد: هذا فظيع.. إنك الا شيطان رجيم.. إذهب عني لا أريد أن أعرفك بعد اليوم (يختفي ملك الزمان)

ونسمع موسيقى من باخ "Call Upon The Jesus"

وتظهر هيلين في أعلى الركن الأيسر من المشربية وهي تتحرك بالجنب وكأنها سابحة في الفضاء، ملابسها بيضاء ناصعة ناظرة في الفضاء.

خالد: هيلين.. هيلين.. لقد رأيت الحاج إبراهيم.. إنه تغير وأصبح ملك الزمان.. لم يعد ذلك الصديق.. إنه يدهن الجثث بالريبولان - هيلين.. لم لا تجيبين.. أين أنت؟

هيلين: (عندما تصل في حركتها البطيئة إلى منتصف المسرح تتكلم بصوت آت من الأعماق)

«إنني عند الألم.. الوحش الذي بلا روح ولا قلب قطع السلاسل وخرج على أهلي وأحبائي يعمل فيهم بالتقتيل، وأصبحت جثثهم متناثرة في العراء تأكلها النسور والعقبان آه إن منظرها رهيب فظيع... إني أشقى منك بكثير يا خالد.

إني أبحث عن ملك الزمان كي يدهن جثث أهلي وأحبائي بالريبولان.

خالد: معذرة يا هيلين.. لم أرد أن أثير شعورك.

هيلين: إلى اللقاء أيها الصديق.

خالد: أين يا هيلين؟

هيلين: عند بحر الرحمة (تختفي فجأة).

خالد: يا لمفارقات الزمان (يختفي)

تظهر رفيعة من الطرف الأيمن من المسرح وهي خائفة مروعة تلتفت كل خطوة إلى الوراء في فزع كبير.

رفيعة: خالد.. خالد. أين أنت (في صوت مختنق يكاد لا يسمع) إنهم يتبعونني.. إني خائفة... خالد أين أنت.

(يظهر وراء ها ملك الزمان ممسكاً فرشاة كبيرة)

ملك الزمان: لن تهربي مني.. سأقبض عليك وأدهنك بالريبولان.

رفيعة: إبعد عني.. خالد.. خالد.. الحقني.

(تجري في بطء الكابوس)

(يظهر رمزي وراء ملك الزمان في ثياب من المشمع الرمادي يظهر منه القماش في بقع تشبه نقش ورق الجدران قبيحة المنظر كالبرص وممسكاً بعلبة الريبولان).

رمزي: إقبض عليها يا ملك الزمان إدهنها.. إدهنها بالريبولان .

(رفيعة تجري فلا تلبث أن تقع بين الإثنين.. يقبض عليها رمزي فتقع على الأرض لاهثة.. يدخل ملك الزمان فرشته الكبيرة في علبة

الريبولان التي يقدمها له رمزي ويرفع يده ليدهن رفيعة وهو يقهقه مسروراً).

رفيعة: (صارخة في اختناق) خالد... خالد... سيدهنوني الحقني بربك

(يظهر فجأة خالد إلى جانب ملك الزمان ويمسك بيده)

خالد: إياكم وأن تلمسوها أو أُذيبكم بالبطاس.. يا حاج إبراهيم يا معلم إسماعيل.. يا حنفي.. إلينا.. إلينا.

(يظهر الحاج إبراهيم الأصلي وخادمه حنفي شبيه رمزي ومعه المعلم إسماعيل ووراءه عشرون صبياً.. معهم علب صغيرة بيضاء)

الحاج إبراهيم: إقبض عليه يا معلم إسماعيل... (يقبض على ملك الزمان) فيرش عليه الحاج إبراهيم البطاس فيذوب ويختفي، بينما حنفي يوقع رمزي أرضاً فيسمع فرقعة صفيح ويذيبه هو الآخر بالبطاس أيضاً).

خالد: (راكعاً إلى جانب رفيعة)

بارك الله فيكم أيها الرجال (إلى المعلم إسماعيل) من هم هؤلاء الفتيان يا معلم اسماعيل.

المعلم إسماعيل: هؤلاء هم صبياني وهذا هو إبني الصغير. أحب صناعة الشبابيك وبذّ فيها أبوه.

الحاجْ إبراهيم: يلزم حاجة يا بيه.

خالد: إني عاجز عن تقديم شكري لكم لقد انقذتمونا.

الحاج إبراهيم: يا سلام يا بك كلنا ملكك، وما تشير إليه يصبح في تصرفك.

خالد: الله يحفظك.. همتك معروفة.

الحاج إبراهيم: يا الله يا معلم يا الله يا حنفي هيا بنا يا أولاد (يختفون)

(رفيعة لم تزل على الأرض تبكي وإلى جانبها خالد).

خالد: (يمسح وجه رفيعة بمنديله في حنان)

الحمد لله على نجاتك.

رفيعة: (في بكاء) إني بردانة.

خالد: (يأخذ صندوقاً من الورق يفتحه ويقدمه إليها)

«إليك»

رفيعة: (تقعد على الأرض وتفتح الصندوق)

آه عباءة (في ضحك مع بكاء) لا يمكن إصلاحك.. (في جد) إنك لم تتغير.. إن هذا هو ما يبعث الإطمئنان في قلبي.

خالد: كفكفي دمعك.. إن بكاءك يحز في قلبي.. خبريني عن مغامرتك التي أوصلتك إلى هذا .

رفيعة : أتهزأ بي وأنا على هذه الحال.. لم تكن مغامرة إنها كانت مأساة.

خالد: بالله لا تواخذيني.. قصي عليّ كل ما جرى.

رفيعة: بعد أن تركتك لكي نذهب إلى المرقص مع رمزي ضللنا الطريق هو وأنا، وأخذنا ندخل في شارع ونخرج من شارع.. ندخل حارة ونخرج من حارة والهواء يهب بشدة فيثير التراب في وجوهنا. وأنوفنا.. ولم نعد ندري أين نحن إلى أن وجدنا أنفسنا أمام دكان الحاج إبراهيم.. وهناك أواه إنه كان أمر فظيع.. (تخفي عينيها بيديها).

خالد: ماذا حصل؟

رفيعة: حنفي دلق البطاس فسقط على رمزي.. فبان من تحته صفيح.. بقي مرقع فتملكني الرعب وجريت أحاول الهرب. فدخل محل الحاج إبراهيم، وخرج الإثنان ومعهما الفرشاة وعلبة الربيولان.. وحاولا إمساكي كي يدهناني فجريت بكل قوتي.. والباقي أنت تعرفه. (تبكي كالطفل الصغير حين يضل الطريق ويرجع الى البيت).

خالد: أو لم تعرفين من الإبتداء إنه من صفيح.

رفيعة: أين لي أن أعرف.. ولم لم تخبرني أنت بذلك.

خالد: هذا هو ما كنت أحاول أن أقوله لك حين رجوتك أن لا تتركيني وتذهبي مع الآخرين.

رفيعة: (تتعلق به) لن أتركك بعد الآن.. خالد.. كنت أظنك تهتم بالمشربية أكثر من إهتمامك بي.. إنها هي تلك المشربية التي وقفت حائلاً بيننا طول الوقت.

خالد: لا ذنب للمشربية في ذلك.. لقد ضللت الطريق قبلك ومررت في نفس الشوارع والحارات يهب في وجهي الريح والتراب لا مستقر لي

ولا أعرف لي بيت حتى وجدت هذه المشربية عند الحاج إبراهيم وبنينا بيتنا هذا.

(يرفعها من الأرض ويسيران معاً إلى جنب من الخارج إلى الداخل من خلال المشربية).

رفيعة: ها قد نجحت في إدخالي الحريم أخيراً.

(تضحك في استسلام)

خالد: لم يعد هناك حريم.

رفيعة: إذن لم دائماً هذه المشربية.

خالد: إنها لحمايتنا من التراب، ليست حبساً للحريم ـ قضبانها أو هي من نسيج العنكبوت. لن تمنع أياً منّا من الخروج أي وقت نشاء.. يمكنك أن تجربي بنفسك.

رفيعة: أخشى أن أجرب فتتمزق ورسمها جميل.

خالد: حقاً سيكون ذلك خسارة كبيرة لو تمزقت. لقد أخذ نسجها أجيالاً.

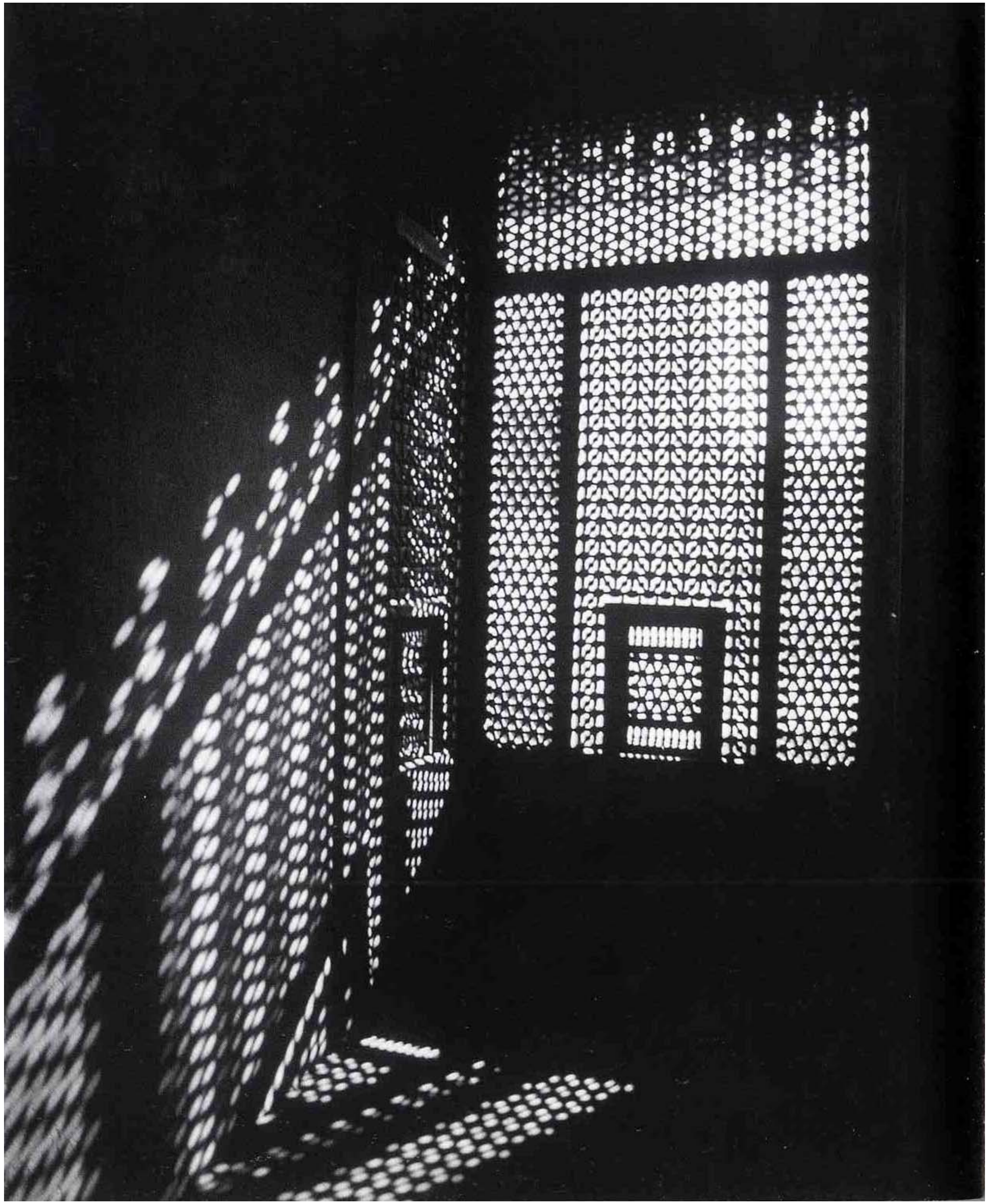
رفيعة: إن نقشها جميل وكأنه نغم ينبعث عن أوتار المزهر.

خالد: أصغ أو ليس ما تسمعين موسيقى.

رفيعة: من يعزف هذه القطعة الجميلة

خالد: إنهم الموسيقيون في الشرفة...

هذه هي المفاجأة التي وعدتك بها.



رفيعة: أشعر وكأنها موسيقى ولا مشربية أو مشربية ولا موسيقى.. إنه انسجام بديع.

خالد: فلنكمل هذا الإنسجام «يتعانقان»

(ينتهي الحلم ويبقى خالد نائماً على المقعد في وضعه الأول يسمع مقطعاً صغيراً من لحن «يا رب زل الغمام الذي على راسنا».

ستار الختام